



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٥ع ٢ ص ص: ٢٥-٦٣ (١٤٣٨هـ/2017م)
DOI:10.4197 / Art.25-2

الشرك والكبر والعلاقة بينهما في ضوء وصية نوح -عليه السلام- لابنه

ياسر بن عبد الرحمن الأحمدي
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك عبد العزيز
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد:

فهذا بحث بعنوان: «الشرك والكبر والعلاقة بينهما في ضوء وصية نوح -عليه السلام- لابنه» يهدف إلى بيان النواهي التي نهى نوح عليه الصلاة والسلام ابنه عن الوقوع فيها، وتوضيح العلاقة بينها، حيث جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ نوحًا عليه السلام قال لابنه: «وأنهاك عن الشرك والكبر» ويتكون هذا البحث من أربعة مباحث: المبحث الأول: مفهوم الشرك. المبحث الثاني: مفهوم الكبر. المبحث الثالث: العلاقة بين الشرك والكبر. المبحث الرابع: الاحتجاب عن الشرك والكبر وعقوبتهما.

وقد توصّل الباحث إلى نتائج منها:

١- أنّ الشرك هو أن يعدل العبد بالله شيئًا في أمر من الأمور، وهو أحد أفراد الكفر.

٢- أنّ الكبر هو بطر الحق وغمط الناس، ومما يوضح علاقته بالشرك: أنّ من معانيه الشرك والكفر، وكلّ مشرك بلغه الحق فهو متكبّر، وكلّ متكبّر عن عبادة الله فهو مشرك، وكلّ متكبّر اتّبع هواه فقد اتّخذ الهوى شريكًا مع الله تعالى، وأنّ من أسباب الكبر الظاهر الرياء وهو شرك، والشرك والكبر اعتداء على حقّ الله تعالى في التوحيد والكبرياء والعظمة وذلك من قبيل الكفر، وأنّهما ضدّ الإيمان، ولذلك جعلهما نوح -عليه السلام- في مقابل ما أمر به وهو؛ التوحيد والتسبيح والتحميد والتكبير.

٣- الكبر فساد عقدي قلبي تظهر آثاره على الجوارح، والخيلاء هو جانب تخيل العظمة فيه.

٤- احتجاب الله وصالح خلقه عن الشرك والكبر وأهلهما في الدنيا والآخرة.

٥- الوعيد للمشركين والمتكبرين بدخول النار على ظاهره في الشرك الأكبر وكبر الكفر، وأما الشرك الأصغر والكبر غير المخرج من المِلَّة فصاحبهما من أهل الوعيد، ولا يدخل المتكبر الجنة، حتى يزول ما في قلبه من كبر.

وجاءت التوصية في خاتمة البحث بأمورٍ منها:

١- العمل على تعريف الناس بأهمية تزكية النفس وتطهيرها من أدران الشرك والكبر والعجب والأمراض القلبية الخفية، من خلال الكتابة في ذلك، وعقد الدروس العلمية حوله، والتنبيه عليه في خطب الجمعة.

٢- ضرورة تضمين مناهج العقيدة في مختلف المراحل الدراسية العليا وما دونها موضوعات تبيّن أهميّة وطريقة تحقيق التوحيد والنجاة من الشرك والكبر، وتشجيع الباحثين على الكتابة في أعمال القلوب وأمراضها.

٣- الكتابة في بيان سعة مفهوم الشرك الوارد في نصوص الكتاب والسنة واللغة، لتصحيح النظر لدى من يتهمون أهل السنة والجماعة بالتوسع في إطلاق اسم الشرك، أو كثرة التحذير منه، نتيجة جهل المخالفين بمعناه.

والله تعالى أعلم وصلى الله على عبده ونبيه محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، وأشهد أنّ نبيّنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإنّ نوحًا –عليه السلام- لما حضرته الوفاة، أوصى ابنه بما يحقق له النجاة، فأمره بـ: لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، ونهاه عن ضدّ ذلك وهو الشرك والكبر؛ وحيث إنّه قد سبق لي البحث العقدي فيما أمر به نوح –عليه السلام- ابنه، بعنوان: «وصية نوح -عليه السلام- لابنه دراسة عقدية لما أمر به»[1]، فقد استخرت الله تعالى أن يكون هذا البحث مختصًا بجانب مختلف عن ما أمره به، وهو جانب النهي في وصيّته له، وقد أسميته: «الشرك والكبر والعلاقة بينهما في ضوء وصية نوح -عليه السلام- لابنه»، ولأنّ التعريف بالشرك والكبر والعلاقة بينهما هو الموضوع الأساس في هذا البحث، فقد رأيت أن يكون ظاهرًا في عنوانه، ليدلّ على مضمونه بحول الله

---

(١) منشور في مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية، في العدد الثامن عشر شهر رجب ١٤٣٨ه، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، هي: المبحث الأول: الأمر بـ: لا إله إلا الله. والمبحث الثاني: الأمر بالتسبيح والتحميد والتكبير. والمبحث الثالث: فضائل ما أمر به نوح - عليه السلام-.

وقوته، وأسأل الله -جلّ وعلا- أن يجعله خالصًا صوابًا، نافعًا لي ولإخواني المسلمين.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يمكن استظهار شيء من أهمية الكتابة في هذا الموضوع وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

١ـ أنّ الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك والكبر منهج الأنبياء والمرسلين، وقد جمع بينهما نوح -عليه السلام- في وصيته لابنه، وقد رغبت أن أكمل بهذا البحث ما بدأته في دراسة مسائل هذه الوصية المباركة.

٢ـ أن الشرك كثيرًا ما يقترن بالكبر، بل لا يكاد ينفك عنه، ولم أقف على بحث مفرد في بيان وجه العلاقة بينهما، فرأيت أن أستعين بالله تعالى في محاولة الكشف عن ذلك.

ثانيًا: الدراسات السابقة:

لم أقف بعد البحث على كتاب أو بحث علمي يتناول بالدراسة جانب النهي في وصية نوح -عليه السلام- لابنه، من جهة ارتباطه بالوصية، وارتباط الشرك بالكبر، ولعل هذا البحث يكون لبنةً في البناء العلمي المختص بهذا الموضوع المهم بحول الله وقوته وتوفيقه.

ثالثًا: منهج البحث:

لقد استخدمت في تناولي لموضوعات هذا البحث ثلاثة مناهج:

١ـ الاستقراء: من خلال جمع ما أمكن من النصوص الواردة في الشرك والكبر، وكلام العلماء حولها.

٢ـ التحليل: من خلال تحليل النصوص وكلام العلماء لاستظهار المعاني العقدية الواردة في البحث.

٣ـ الاستنباط: من خلال استنباط بعض المعاني من النصوص وأوجه العلاقة بين شيئين ونحو ذلك.

وتجدر الإشارة هنا إلى أمرين:

الأول: أنّنا حين نتناول الشرك والكبر في وصية نوح – عليه السلام- من خلال كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم- وكلام العلماء حولهما، فذلك لاشتراك جميع الأنبياء والمرسلين في أصول الاعتقاد، ومنه النهي عن الشرك والكبر، ولأنّ خير ما يُفسّر به نهي نوح – عليه السلام- عنهما، هو ما جاء في دين الإسلام الذي أُرسل به محمد -صلى الله عليه وسلم-، لكونه الدِّين الخاتم المحفوظ بحفظ الله تعالى له من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير، وهو ما لم يتوافر للرسل والرسالات السابقة.

الثاني: أنّني سأكتفي في الحكم على الأحاديث بما ترجح لدى بعض علماء الحديث قديمًا أو حديثًا، وإذا كان موضع الحكم على الحديث هو نفس موضع تخريجه فسأكتفي بذكر معلومات التخريج، كأن أقول رواه أحمد برقم كذا في المسند وصححه فلان في تحقيقه للمسند دون إعادة ذكر رقم الحديث، ويقاس عليه ما يشبهه.

الاكتفاء في الحكم على الأحاديث بذكر ما ذهب إليه بعض علماء الحديث المتقدّمين أو المعاصرين.

رابعًا: خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد عن الشرك والكبر في وصية نوح -عليه السلام-، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الشرك. ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الشرك.

المعنى الثاني: أنواع الشرك وأسبابه.

المطلب الثالث: التعريف بالكفر وعلاقته بالشرك.

المبحث الثاني: مفهوم الكبر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الكبر وسببه.

المطلب الثاني: التعريف بالخيلاء وعلاقته بالكبر.

المبحث الثالث: العلاقة بين الشرك والكبر. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التلازم بين الشرك والكبر.

المطلب الثاني: الشرك والكبر ضدّ الإسلام.

المطلب الثالث: الشرك والكبر تعدّي على حقّ الله تعالى.

المبحث الرابع: الاحتجاب عن الشرك والكبر وعقوبتهما، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: احتجاب الله وصالح خلقه عن الشرك والكبر.

المطلب الثاني: تحريم الجنّة على المشركين والمتكبرين ودخولهم النار.

المطلب الثالث: رفع عقوبة الشرك والكبر بالتوحيد والتوبة.

والخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وفهرس المصادر والمراجع.

ولا يسعني في خاتمة مقدمة هذا البحث إلا أن أعطفها على أولها بالحمد لله تعالى والشكر له على ما وفق إليه من اختيار موضوع هذا البحث وكتابته، فاللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ثم أشكر بعد شكر الله تعالى كل من قدم لي فيه خيرًا بأي وجه من وجوه البر والإحسان، فجزاهم الله خير الجزاء، وأجزل لهم العطاء، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

تمهيد عن الشرك والكبر في وصية نوح -عليه السلام- لابنه:

صحَّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إخباره بوصية نوح -عليه السلام- لابنه، وجاء فيها النهي عن الشرك والكبر، وسأذكر في هذا المطلب نصّ وصيته حسب رواية الإمامين أحمد في المسند **-واللفظ له-**، والبخاري في الأدب المفرد وسأجعل زياداته **بين قوسين كبيرين**، وسأضيف إليها **-بين علامتي تنصيص- بعض أهم الزيادات الصحيحة الواردة في الشرك والكبر في الروايات الأخرى، على النحو الآتي:**

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: كنّا (جلوسًا) عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجاء رجل من أهل البادية، عليه جُبّة[١] سيجان[٢] مزرورة بالديباج[٣]، (حتى قام على رأس النبي -صلى الله عليه وسلم-) فقال: ألا إنّ صاحبكم هذا قد وضع كلّ فارس ابن فارس (أو) قال: يريد أن يضع كلّ فارس ابن فارس، ويرفع كلّ راع ابن راع، وفي

(١) نوع من الثياب يشبه ما يُعرف في زمننا بالمشلح. انظر: لسان العرب: ٢٤٩/١، والمعجم الوسيط: ١٠٤/١.

(٢) نوع من الأردية يوضع على الكتف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٣٢/٢، وتاج العروس: ٥٠/٦.

(٣) أي مغلقة بأزارير ديباج. انظر: لسان العرب: ٣٢١/٤.

رواية: فقال: إنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يريد أن يرفع كلّ راع ابن راع، ويضع كلّ فارس ابن فارس[١]. قال: فأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمجامع جبته، وقال: «ألا أرى عليك لباس من لا يعقل»، وفي رواية: فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- مغضبًا، فأخذ بمجامع جبته، فاجتذبه، وقال: «لا أرى عليك ثياب من لا يعقل»، «ثم رجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجلس»[٢]، ثم قال: «إنَّ نبي الله نوحًا -عليه السلام- لما حضرته الوفاة قال لابنه: إنّي قاصٌّ عليك الوصيّة: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بـ: لا إله إلا الله، فإنّ السموات السّبع، والأرضين السّبع، لو وضعت (وضعن) في كفّة، ووضعت لا إله إلا الله في كفّة، (لـ) رجحت بهنّ لا إله إلا الله، ولو أنّ السموات السّبع، والأرضين السّبع، كنَّ حلقة مبهمةً[٣]، (لـ) قصمتهنَّ[٤] لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنّها صلاة كلّ شيء، وبها يُرزق الخلق (وبها يُرزق كل شيء)، وأنهاك عن الشرك والكبر))، وفي رواية: «وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما، وصالح خلقه، أنهاك عن الشرك والكبر»[٥]، وفي رواية: «وأنهاك عن اثنتين: الشرك والكبر، فإنهما تحجبان عن الله»[٦]، وفي رواية: «وأنهاك عن الكفر والكبر»[٧]، وفي رواية: «وأنهاك عن خصلتين: عن الكبر، والخيلاء»[٨]، قال: قلت: أو قيل يا رسول الله: هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر؟ قال: الكبر أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان[٩] حسنان؟ قال: ((لا)) قال: هو أن يكون لأحدنا حُلّة[١٠] يلبسها؟ قال: ((لا)) قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابّة يركبها؟ قال: ((لا)) قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: ((لا)). وفي رواية: أمن الكبر أن أركب الدابة النجيبة؟ قال: «لا». قلت: فمن الكبر أن ألبس الثوب الحسن؟ قال: «لا»[١١]. وفي رواية: فقال رجل: يا رسول الله، الكفر قد عرفناه، فما الكبر؟ أهو أن يكون للرجل نعلان حسنتان وله شراكان حسنان؛ يعجبه ذلك؟! قال: «لا» . قال: فهو أن تكون له حلة حسنة يلبسها؟ قال: «لا» . قال: فهو أن يكون له فرس جميل يعجبه جماله؟ قال:

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ح١٤٥٨٥، وقد سألت فضيلة الشيخ المحدّث سعد الحميد عن إسناده فاستظهر صحته، والله أعلم.

(٢) رواه أحمد في موضع آخر في مسنده: ح٧١٠١، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند وكذا الأرناؤوط.

(٣) شيء مستدير محكم الإغلاق. انظر: تهذيب اللغة: ١٧٨/٦، ولسان العرب: ٦١/١٠، ٥٦/١٢، ٥٧.

(٤) القصم: تحطيم الشيء القوي حتى ينفصل عن بعضه. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٤٥٢/٣، ٧٤/٤، ولسان العرب: ٤٨٥/١٢.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، في أفضل =

= الذكر وأفضل الدعاء: ح١٠٦٠٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ح١٥٤٣.

(٦) رواه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي: ح٣٠٦٩، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: ١٥٥/٦.

(٧) تقدّم تخريجه: حاشية: ١.

(٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ح١٤٣٢٦، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد: ح٦٥٨٣.

(٩) حبال النعل التي تكون سقفًا له. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٦٧/٢، ٤٦٨.

(١٠) قيل في الحلة رداء وقميص وعمامة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٣٢/١، ولسان العرب: ١٧٢/١١.

(١١) تقدّم تخريجه أعلاه، حاشية: ٨.

«لا». قال: فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجالسونه؟ قال: «لا»[(١)]. وفي رواية: قال: قيل: يا رسول الله، أمن الكبر أن يتخذ الرجل الطعام، فيكون عليه الجماعة؟ أو يلبس القميص النصيف؟ قال: «ليس ذاك، -يعني بالكبر»[(٢)]، قيل: يا رسول الله، فما الكبر؟ قال: «سفه الحق، وغمص الناس[(٣)]»[(٤)].

المبحث الأول: مفهوم الشرك

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الشرك:

الشرك في اللغة يدل على معان منها: المقارنة وعدم التفرد، والمخالطة والمصاحبة والمشاركة، والتسوية ووجود العديل والمشارك، والنصيب والحظ والحصة والمجاورة، والكفر، وغيرها[(٥)].

قال الجوهري في مادة (شرك): «الشريك يجمع على شركاء وأشراك. وشاركت فلانًا: صرت شريكه. واشتركنا وتشاركنا في كذا. وشركته في البيع والميراث أشركه شركة، والاسم الشرك. والشرك أيضًا: الكفر. وقد أشرك فلان بالله، فهو مشرك. وقوله تعالى: (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢))[(٦)]، أي اجعله شريكي فيه. وأشركت نعلي: جعلت لها شراكًا. والتشريك مثله. والشَرَك، بالتحريك: حبالة الصائد، الواحدة شركة. والشركة أيضًا: معظم الطريق ووسطه، والجمع شرك. وقولهم: الكلأ في بني فلان شرك، أي طرائق»[(٧)].

وقال الأزهري في قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ)[(٨)]: «معناه لا تعدل به غيره فتجعله شريكًا له»[(٩)].

فالمشرك جعل لله عدلاً، تعالى وتقدس، وقرنه بغيره، وسواه به، فجعله شريكه في الملك والطاعة وغيرها[(١٠)].

وجاء إطلاق الشرك في المعنى الشرعي بنحو المعنى اللغوي، ويراد به ما يقابل التوحيد[(١١)].

وجاء في بعض الأحاديث تفسير الشرك بأن يجعل العبد لله تعالى ندًا، كما في حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت النبي، صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قلت: إنّ ذلك لعظيم، قلت: ثم

---

(١) تقدّم تخريجه: ص ٣٠ حاشية: ١.
(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي: ح٣٠٦٩، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: ١٥٥/٦.
(٣) سيأتي الحديث عن معنى «سفه الحق، وغمص الناس» في المبحث الثاني.
(٤) رواه أحمد في مسنده: ح٦٥٨٣، والبخاري في الأدب المفرد: ح٥٤٨، وصححه ابن كثير في البداية والنهاية: ١٣٦/١، وصححه أحمد شاكر والأرناؤوط في تحقيقهما للمسند، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح١٣٤، وصحيح الأدب المفرد: ح ٥٤٨.
(٥) انظر: تهذيب اللغة: ١٢/١٠-١٤، ومقاييس اللغة: ٢٦٥/٣، ولسان العرب: ٤٤٨/١٠-٤٥١، وتاج العروس: ٢٢٤/٢٧- ٢٢٩.

(٦) سورة طه: آية ٣٢.
(٧) الصحاح: ١٥٩٣/٤، ١٥٩٤ "باختصار". وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٤٦٦/٢.
(٨) سورة لقمان: جزء من آية ١٣.
(٩) تهذيب اللغة: ١٢/١٠.
(١٠) انظر: تهذيب اللغة: ١٤/١٠، ولسان العرب: ٤٤٩/١٠، ٤٥٠، وتاج العروس: ٢٢٤/٢٧.
(١١) انظر: فتح الباري: ٦٥/١، ورسالة الشرك ومظاهره، مبارك الجزائري: ١٠٤.

أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[(١)].

فهذا الذي وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنّه أعظم الذنب عند الله، وهو أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، هو نفسه الذي عدّه -صلى الله عليه وسلم- في حديث آخر أكبر الكبائر وهو الشرك بالله، كما في حديث أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشهادة الزور - ثلاثا - أو: قول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[(٢)].

وتفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- الشرك بأن يجعل العبد لله تعالى ندًا وقد خلقه، مأخوذ من القرآن الكريم حيث جاء فيه النهي عن جعل الأنداد لله رب العالمين[(٣)]، ومن ذلك قوله عز وجل: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢))[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: «**أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده،** فإنه لم يعدل أحد بالله شيئًا من المخلوقات في جميع الأمور»[(٥)].

وجعل عدل لله تعالى في بعض ما يستحقه وحده يعني التسوية بين الله وبين غيره في أمر من الأمور[(٦)]، ومن ذلك أن يدعو مع الله إلهًا آخر، أو يجعل لغيره شركًا أي نصيبًا في عبادته وتوكله واستعانته ونحوها[(٧)].

والتسوية بين الله وغيره تقتضي وجود الشبه بينهما -تعالى ربنا وتقدس- ومن هنا فقد نصَّ الإمام ابن القيم، رحمه الله، على أن «حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به»[(٨)].

والتشبه بالخالق يكون بالتعاظم والتكبر ونحو ذلك مما هو من خصائص الله تعالى، وأما تشبيه المخلوق بالخالق، فله صور منها: إعطاء المخلوق ما هو من خصائص الربوبية أو الألوهية، فمن أشرك في عبادة الله مثلاً فقد شبه المخلوق الذي عبده بالخالق، جلَّ وعزَّ، ومن نسب صفات الكمال للمخلوق كما يفعله النصارى فقد شبّهه بالخالق[(٩)]، وذلك كلّه داخل في معنى النديّة والتسوية، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: أنواع الشرك وأسبابه:

الفرع الأول: أنواع الشرك:

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ): ٤٤٧٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده: ح ٨٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة: ح٦٩١٩.

(٣) انظر: الشرك في القديم والحديث: ١/١٢١-١٣٠.

(٤) سورة البقرة: جزء من آية ٢٢.

(٥) الاستقامة: ١/٣٤٤.

(٦) انظر: جامع المسائل: ٣/٢٧٩.

(٧) انظر: الاستقامة: ٢/٢١٠، ومجموع الفتاوى: ١/٧٤، ١١/٦٦٣، ٦٨٢.

(٨) الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية: ١٣٦.

(٩) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٧/٩٥، ومجموع الفتاوى: ١/٧٤، والجواب الكافي: ١٣٦، ١٣٧.

ينقسم الشرك إلى ثلاثة أنواع هي[1]:

النوع الأول: الشرك في الربوبية:

ومن صوره: شرك فرعون بإنكاره وجود الربِّ في قوله: (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)[2]، ونفي أسمائه وصفاته، وجعل إلهٍ آخر معه في الملك والتدبير والإعانة، وإثبات فاعل مستقل غير الله.

النوع الثاني: الشرك في الأسماء والصفات:

ومن صوره: تشبيه الخالق بالمخلوق كمن يقول لله تعالى؛ يد كيدي، وسمع كسمعي، ونحو ذلك من شرك المشبهة، واشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق.

النوع الثالث: الشرك في الإلهية والعبادة:

ومن صوره: أن يجعل لله ندًا يعبده كما يعبد الله وهو ما يسمى الشرك الأكبر، وأن يراعي غير الله معه في بعض الأمور ومنه يسير الرياء والشرك في الألفاظ ونحو ذلك وهو ما يسمى الشرك الأصغر، وقد يكون شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده[3].

وهذا النوع هو الذي وقع فيه عامة مشركي العرب.

وبعض أهل العلم يضيف النوع الثاني إلى الأول فيجعل الشرك نوعين: «شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله. وشرك في عبادته ومعاملته»[4].

ولا حرج في قسمة الشرك إلى نوعين أو ثلاثة شريطة أن لا ينقص شيئًا من أنواع الشرك[5].

الفرع الثاني: أسباب الشرك:

لظهور الشرك أسباب عديدة، بيد أنّ أكثر الشرك في بني آدم ـكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- يعود إلى سببين[6]، هما:

السبب الأول: الغلو في المخلوقين وخاصة الصالحين:

ويغلب وقوع هذا السبب على عوام المشركين نتيجة تجاوز الحد في تعظيم المخلوقين ومحبتهم والتعلق بهم وكثيرًا ما يظهر في تعظيم الصور والتماثيل والعكوف على القبور وتقبيلها والتبرك بها وبأصحابها.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٥٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨١/٥، واقتضاء الصراط المستقيم: ٢٢٦/٢، ٢٢٧، ودرء تعارض العقل والنقل: ٣٩٠/٧، ٣٩١، والجواب الكافي: ١٢٩-١٤٠، وتيسير العزيز الحميد: ٢٦-٢٨.

(٢) سورة الشعراء: جزء من آية ٢٣.

(٣) يُفرَّق بين الشركين الأكبر والأصغر بأنّ الشرك الأكبر: هو أن يجعل لله ندًا في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، وهو مخرج من الملة، محبط للأعمال، موجب للخلود في النار. وأمّا الشرك الأصغر: فهو كلّ شيء دلت النصوص على أنّه شرك ولكن جاء فيها ما يفيد أنّه لا يخرج من الملة، وقيل: إنّه مراعاة غير الله معه في أمر من الأمور، وقيل: إنّه كلّ وسيلة توصل إلى الشرك الأكبر، وهو أكبر من الكبائر ولكنه لا يخرج من الملة ولا يوجب الخلود في النار ولا يحبط جميع الأعمال. انظر: الصارم المسلول: ٥٥، والقول السديد: ٥٨، والقول المفيد: ١٧٣/١، ٢٠٦، ٢٠٧، = ١٢٥/٢- ١٣٠، وفتاوى اللجنة الدائمة: ٧٤٦/١، ٧٤٨، والمفيد في مهمات التوحيد: ١١١.

(٤) الجواب الكافي: ١٢٩.

(٥) انظر: الشرك في القديم والحديث: ١٣٨/١، ١٣٩.

(٦) انظر: الرد على المنطقيين: ٢٨٥، ٢٨٦.

ومن هذا النوع شرك قوم نوح، عليه السلام، وهو أول شرك طرق العالم، بعد أن كان الناس على التوحيد من زمن آدم، عليه السلام، إلى قبل نوح، عليه السلام، وكان ظهوره بعد موت رجال صالحين، فأوحى الشيطان إلى قومهم أن يقيموا لهم أنصابًا بأسمائهم ففعلوا ولكن لم يعبدوها، فلما هلكوا ونُسي العلم عُبدت من دون الله تعالى، وقد انتقلت عبادة تلك الأصنام بعد ذلك إلى العرب بأعيانها أو نظائرها(١).

السبب الثاني: اعتقاد تأثير الكواكب والنجوم في العالم:

ويغلب وقوع هذا السبب على خواصّ المشركين وأرباب النظر منهم، نتيجة ظنّهم أنّ السعود والنحوس وحصول الخير والشر في العالم من الكواكب والنجوم، فعظّموها وأحبّوها وجعلوا لها أصنامًا وتماثيل عبدوها.

ومن هذا النوع شرك قوم إبراهيم، عليه السلام، أو بعضه(٢).

وكانت الشياطين تدخل في أصنام قومي نوح وإبراهيم -عليهما السلام- فتكلّمهم وتقضي بعض حوائجهم وتريهم بعض العجائب تضلّهم بها، فيزداد تمسكهم بعبادة أصنامهم وهم في الحقيقة إنّما يعبدون الشياطين التي تستمتع بعبادتهم إيّاها وطاعتهم لها، كما إنّ الإنس يستمتعون بإعانة الشياطين لهم(٣).

المطلب الثالث: التعريف بالكفر وعلاقته بالشرك:

جاء في إحدى مرويات وصية نوح - عليه السلام- الصحيحة: النهي عن الكفر بدل الشرك(٤)، فناسب التعريف به على وجه الاختصار والإشارة إلى الفرق بينه وبين الشرك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: معنى الكفر:

الكفر في اللغة يدلّ على: الستر والتغطية والجحود، وقيل إنّ أصله: تغطية الشيء تغطية تستهلكه.

والكفر في الشرع: عدم الإيمان. ولو لم يعتقد شيئًا، فلا يشترط أن يعتقد شيئًا مخالفًا، أو يتكلّم به(٥).

وسمي عدم الإيمان كفرًا لتغطيته الحق، وقيل: لأنّه مُغطى على قلب الكافر، وقيل: إنّ الكافر لما دعاه الله تعالى إلى توحيده وهو نعمة، أبى ما دعاه إليه فكان كافرًا بنعمة ربه، أي مغطيًا لها بإبائه، وحاجبًا لها عن نفسه، وقيل: إنّ النعم التي غطّاها الكافر هي كلّ ما دلّه على أنّ خالقه واحد لا شريك له(٦).

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ): ح٤٩٢٠، ومجموع الفتاوى: ٣٦٣/١٤، ٤٥٤/١٧، ٤٥٥، ٤٦٠، ٧٩/٢٧، وإغاثة اللهفان: ١٨٤/١، ٢٨٦/٢، ومدارج السالكين: ٤٥٥/١، وتيسير العزيز الحميد: ٢٥٤.

(٢) انظر: جامع الرسائل: ٢٧٣/٢، ومنهاج السنة النبوية: ١٩٤/٢، ومفتاح دار السعادة: ١٩٧/٢، وتيسير العزيز الحميد: ٣٧٨.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين: ٢٨٤، ٣٠٧، والصفدية: ٢٩٢/٢، ومجموع الفتاوى: ١٥٧،٣٦٠/١، ١٣٥/٤، ١٠، ٦١١/١٣٦.

(٤) رواية الطبراني في المعجم الكبير: ح١٤٥٨٥، وتقدّم ذكرها في تمهيد البحث.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٢٤٢/١، ومجموع الفتاوى: ٢٩٢/٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٦٣٩، ٣٣٥/١٢، ٨٦/٢٠، ٩٤.

(٦) انظر: مقاييس اللغة: ١٩١/٥، ولسان العرب: ١٤٤/٥ـ ١٤٧، =

الفرع الثاني: علاقة الكفر بالشرك:

يمكن استظهار شيءٍ من علاقة الشرك بالكفر من خلال الآتي:

أولاً: أنّ الكفر جنس عام في مقابل الإيمان، يندرج تحته خصال كثيرة من الذنوب كالشرك والجحود والشك والنفاق وغيرها، وبهذا فالشرك خصلة من خصال الكفر.

ثانيًا: أنّ الكفر والشرك من المصطلحات التي تتنوع دلالتها بحسب الإفراد والاقتران، فإذا أطلق أحدها منفردًا شمل الآخر، وإذا اقترن أحدهما بالآخر انصرف الشرك لعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعتراف عابديها بالله تعالى، وانصرف الكفر لما عداه[(١)].

قال الإمام النووي، رحمه الله: «الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو: الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم»[(٢)].

وبهذا يتبين أنّ لفظ الكفر الوارد في بعض مرويات وصية نوح -عليه السلام-، يشمل الشرك وغيره لكون الشرك جزءًا من الكفر، وأنّ إطلاق لفظ الشرك -مفردًا- في أكثر مرويات الوصية يدخل فيه الكفر وجميع ما يندرج تحته من الأقوال والأعمال والأنواع، فيشمل بهذا المعنى كلّ ما يخالف الإيمان بالله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ويندرج تحته الأديان المخالفة للإسلام كاليهودية والنصرانية والمجوسية وعبدة الأوثان وغيرهم.

المبحث الثاني: مفهوم الكبر

وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد:

جاء في بعض مرويات وصية نوح –عليه السلام- لابنه ذكر خبر الوصية في معرض تعليق النبي –صلى الله عليه وسلم- على سلوك الأعرابي الذي جاءه وعليه سيما أهل الكبر وخيلائهم، مستعظمًا نفسه، محتقرًا غيره، مسيئًا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، بوقوفه على رأسه وقوله: **ألا إنّ صاحبكم هذا، قد وضع كلّ فارس ابن فارس (أو) قال: يريد أن يضع كلّ فارس ابن فارس، ويرفع كلّ راع ابن راع.**

فقام إليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مُغضبًا، فأخذ بمجامع جبّته، فاجتذبه، ثم قال: «**ألا أرى عليك لباس من لا يعقل**». وفي رواية: «اجلس فإنّي أرى عليك ثياب من لا عقل له، فما بعث الله نبيًا قبلي إلا وقد رعى»[(٣)]، ثم جلس النبي –صلى الله عليه وسلم

=

وتاج العروس: ١٤/٥٠-٥٤.

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم: ٧١/٢، والجواب الصحيح: ١١٤/٣-١٢٠، والتنوير شرح الجامع الصغير: ٥٦٧/٤.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم: ٧١/٢.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده، كما في إتحاف الخيرة: ٤١٩/٦، والمطالب العالية: ح٣٨٣٥، ولم أجده في المطبوع، وجاء في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم،

=

عليه وسلم- وقصّ على أصحابه وصيّة نوح –عليه السلام- لابنه؛ وفيها نهيه عن الشرك والكبر؛ وفي أخرى الكبر والخيلاء[١].

فسأله الصحابة –رضي الله عنهم عن أشياء إن كانتِ الكبر أم لا؟ تدور في مجملها حول ثلاثة مظاهر:

المظهر الأول: أن يكون للإنسان ثياب حسنة جميلة يلبسها يتجمّل بها، وحذاء جميل يعجبه جماله؟.

المظهر الثاني: أن يكون للإنسان دابة نجيبة[٢] فارهة جميلة[٣] يركبها، أو يكون له فرسٌ جميل يعجبه جماله؟.

المظهر الثالث: أن يتخذ الإنسان الطعام ويدعو إليه الناس، أو يجلس إليه أصحابه؛ فيطعمهم؟[٤].

فأجابهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إنّ ذلك كلّه ليس الكبر!. إذا كان صاحبه منقادًا للحقّ، متواضعًا للخلق، يُعجب بما آتاه الله ويفرح به ابتهاجًا بنعمة الله عليه، أو لمجرد التجمل ونحوه من الأغراض الجائزة، مع مراعاة القصد وترك الإسراف؛ وإلا فهو مذموم[٥].

فلمّا تبيّن للصحابة –رضي الله عنهم- أنّ ما سألوا عنه ليس الكبر، طلبوا من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يبين لهم معنى الكبر؟

فبيّن لهم أنّ الكبر: ((سَفَهُ الحقّ، وغَمْصُ النّاس))[٦]. وفي رواية: «أن تُسَفِّهَ الحقّ، وتَغمِضَ النّاس»[٧].

وبعرض معنى الكبر على لباس الأعرابي وكلامه ووصف النبي -صلى الله عليه وسلم- له بالتلبّس بحال من لا عقل له، يتبيّن أنّ الكبر يحجب عقل صاحبه، ويعمي بصيرته، فيرى الأمور على خلاف حقيقتها، ويزن الأشياء بغير ميزانها، ويجور في الأحكام، ويكذب في الأقوال، ويعتدي في الأفعال، ويغلب عليه التعميم الخاطئ المقرون بالتعالي، نتيجة فقدانه العقل، واكتسابه الجهل؛ فيصدر منه سفه الحقّ، وغمط الناس وغمصهم أعمالهم.

وفي المطلبين الآتيين بيان معنى الكبر والخيلاء اللّذين نهى عنهما نوح –عليه السلام-، والعلاقة بينهما:

المطلب الأول: معنى الكبر وسببه.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: معنى الكبر:

=

كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» رواه البخاري في كتاب الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط:ح٢٢٦٢.

(١) انظر هذه المرويات في: ص ٢٩-٣١ من هذا البحث.

(٢) كاملة الأوصاف المختارة للركوب وغيره. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم: ١٠١/١٦.

(٣) ورد ذكر لفظ الدابة الفارهة في تاريخ دمشق: ٢٨٦/٦٢.

(٤) انظر: ص ٣٠، ٣١ من هذ البحث.

(٥) انظر: جامع البيان: ٦٣٧/١٩، ٦٣٨، وتفسير القرآن العظيم:

=

٢٣٣/٦، وجامع العلوم والحكم: ٣٠٦/١، وفتح الباري: ٢٦٠/١٠، وبهجة قلوب الأبرار: ١٦٦.

(٦) تقدّم تخريجه: ص ٣١ حاشية: ٤.

(٧) تقدّم تخريجه: ص ٣٠ حاشية: ٨.

الكبر في اللغة: الرفعة والشرف والعظمة والتجبر.

وقيل في معنى الكبر: حالة يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، لاعتقاده أنّه أكبر من غيره في صفات الكمال، ومن ثم فإنّ له من الحق ما ليس لغيره.

وذكر الزبيدي من معاني الكبر: الكفر والشرك[(١)]، واستدلّ لذلك بحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر»[(٢)].

والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبّرًا.

والكبرياء: العظمة والملك والترفع عن الانقياد، وكمال الذات والوجود ولا يستحقه إلا الله تعالى، فهو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر، فالله -جلَّ وعلا- هو المتكبر العظيم المتعالي عن صفات الخلق، الذي تكبر عن ظلم عباده، والمتكبر على عتاة خلقه[(٣)].

وأمّا معناه في الشرع، فقد بيّنه –صلى الله عليه وسلم- في آخر سياق وصية نوح –عليه السلام- بأنّه: ((سَفَهُ الحقّ، وغَمْصُ النّاس))[(٤)]. وفي رواية: «أن تُسَفِّهَ الحقّ، وتَغمِصَ النّاس»[(٥)].

وجاء في أحاديث أخرى -غير وصية نوح، عليه السلام- تعريف الكبر بأنّه: «بَطَرُ الحقّ، وغَمْطُ النّاس»[(٦)]، وفي رواية: «من سَفِهَ الْحَقَّ، وَازْدَرَى النَّاسَ»[(٧)]. وفي أخرى: «من سَفِه الحقّ، وغَمَصَ النّاس أعمالهم»[(٨)].

فهذه النصوص النبوية المباركة تدلّ على أنّ الكبر في الشرع يدور حول معنيين[(٩)]، هما:

المعنى الأول: التكبّر على الحقّ بالإعراض عنه وإهانته وعدم قبوله تكبّرًا:

وهو ما سماه النبي -صلى الله عليه وسلم-: «سَفَهُ الحقّ» و«بَطَرُ الحقّ».

---

(١) انظر: تاج العروس: ١٣/١٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح٣٧٨٩، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ح٢٩١٢، من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

(٣) انظر: مقاييس اللغة: ١٥٣/٥، ١٥٤، ولسان العرب: ١٢٥/٥-١٣٠، وتاج العروس:٧/١٤-٩، وفتح الباري: ٤٨٩/١٠، والتعريفات الفقهية: ١٨٠.

(٤) تقدّم تخريجه: ص ٣١ حاشية: ٤.

(٥) تقدّم تخريجه: ص ٣٠ حاشية: ٨.

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه: ح٩١، من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

(٧) رواه أحمد في مسنده: ح٣٧٨٩، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ح٢٩١٢، من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

(٨) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٨٤/٤٣، وصححه بشواهده الألباني عند كلامه على حديث: ١٦٢٦ في سلسلة الأحاديث الصحيحة، من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه-.

(٩) انظر في معنى الكبر: شرح مشكل الآثار: ١٩٠/١٤، وتهذيب اللغة: ٢٢٩/١٣، ومقاييس اللغة: ٣٩٥/٤، ٣٩٦، ومشارق الأنوار: ٢٢٧/٢، والنهاية في غريب الحديث: ١٣٥/١، ٣٠٢/٢، ٣٧٦، ٣٨٦/٣، ٣٨٧، والمنهاج شرح صحيح مسلم: ٩٠/٢، ولسان العرب: ٦١/٧، ٣٦٤، ٤٩٨/١٣، واقتضاء الصراط المستقيم: ٣٧٧/٢، ومجموع الفتاوى: ١١/٧، وروضة المحبين: ٢٢٢، وفتح الباري: ٢٦٠/١٠، ٤٩٠، ٤٩١، والفتح المبين بشرح الأربعين: ٥٦١، وشرح رياض الصالحين: ٥٣٦/٣، ٥٣٧، والقول المفيد: ٤٦١/٢.

فأمّا سفه الحقّ فهو أن يجهله أو يستخفّ به فلا يراه على ما هو عليه من الرجحان والرزانة، بل يراه سفهًا وجهلاً. وأمّا بطر الحقّ: فهو جحد الحقّ ودفعه وردّه وإنكاره وعدم قبوله بعد معرفته ترفّعًا وتجبّرًا وإباءً، ومنه إنكار حقّ الله تعالى في توحيده بالكفر به، أو ما جعله الله حقًّا وديًنا، أو إنكار أيّ حقّ كان، ولو مالاً في ذمّته، ومنه أن يؤتى للإنسان بأدلّة الكتاب والسنة في أمر ما، فلا يقبلها ويصرّ على رأيه وهواه.

المعنى الثاني: التكبّر على النّاس باحتقارهم وازدرائهم وانتقاص أعمالهم:

وهو بهذا المعنى يظهر في صورتين:

الصورة الأولى: احتقار الناس وازدراؤهم.

وهو ما سمّاه النبي –صلى الله عليه وسلم-: ((غَمْصُ النّاس))، و«تَغمِصَ النّاس»، و«غَمْطُ النّاس»، و«من ... ازْدَرَى النَّاسَ».

والغمص والغمط والغمض: احتقار الناس وإذلالهم والاستهانة بهم وعدم رؤيتهم شيئًا[(١)].

والازدراء: الاحتقار والانتقاص والعيب[(٢)].

والمقصود أنّ من الكبر: احتقار الناس واستصغارهم والاستهانة بهم وازدراؤهم وإذلالهم وانتقاصهم وأن لا يراهم شيئًا، ويدخل في ذلك كلّ ما يختص بهم من الأنساب والأقوال والأعمال وغيرها. والمتكبّر بفعله هذا وضع نفسه في الموضع الذي لم يضعه الله فيه، ونَزَّل الناس دون المواضع التي وضعهم الله فيها.

وذكر بعض العلماء من صور انتقاص المتكبر للنّاس أن يشمخ بأنفه، وإذا رأى الضعفاء والفقراء لا يُسلّم عليهم، ولا يجلس إليهم، احتقارًا لهم.

الصورة الثانية: احتقار أعمالهم وانتقاصها:

تقدّم في إحدى الروايات تخصيص أعمال الناس بالغمص، كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- في تعريف الكبر: «من سَفِه الحقّ، وغَمَصَ النّاس أعمالهم».

والأعمال جمع، مفرده عمل، ويعني: المهنة، والفعل وهو إحداث كلّ شيء من عمل أو غيره[(٣)].

فالنهي عن غمص الناس أعمالهم يشمل احتقار مهنهم وازدراءها، واحتقار أفعالهم وأقوالهم وانتقاصها.

وهذه الصورة وإن كانت داخلة في عموم غمص الناس وغمطهم، إلا أنّ إفرادها بالذّكر فيه تنبيه إلى الحذر منها؛ لأنّ من الناس من يتواضع للآخرين، ولكن يظهر منه الكبر تجاه أعمالهم باحتقارها وانتقاصها وأن لا يراها شيئًا، وخاصّة إذا كان له في ذلك حظٌّ أو هوى، أو كان في مقام الحديث عن نفسه وأعماله، أو مقارنة عمله بعمل غيره. فإنّ المتكبر ينظر لأعماله بعين الكمال، ولأعمال غيره بالنقص، فيحتقرها ويزدريها، وهذا هو المذموم، بخلاف ما يُحمد من بيان الأخطاء بالعدل على وجه النصح أو المحاسبة ونحوها دون تعالٍ واحتقار.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة: ٣٩٥/٤، ٣٩٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٨٦/٣، ٣٨٧، ولسان العرب: ٦١/٧، ٣٤٦.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٠٢/٢، ولسان العرب: ٣٥٦/١٤.

(٣) انظر: مقاييس اللغة: ١٤٥/٤، وتاج العروس: ٥٥/٣٠، ٥٦، ١٨٢.

وقد بلغ قوم نوح -عليه السلام- الغاية في الكبر بنوعيه:

الأول: وهو بطر الحقّ والإباء -لا عن قبوله فحسب - بل عن سماعه أيضًا، بوضع أصابعهم في آذانهم، وتغطية وجوههم بثيابهم، لئلا يروا نوحًا -عليه السلام-، ولا يسمعوا دعوته، كما في قوله تعالى: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)[١].

والثاني: ازدراء الخلق وانتقاص أعمالهم، وقد وقع منهم ذلك مع نوح -عليه السلام- وأتباعه المؤمنين حيث كانوا يطلقون عليهم لفظ الأراذل!، قال تعالى: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧))[٢].

ومن انتقاصهم أعمال الناس ما جاء في استهزائهم وسخريتهم من نوح –عليه السلام- وهو يصنع السفينة، كما في قوله تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨))[٣].

الفرع الثاني: سبب الكبر وحكمه:

أولاً: سبب الكبر:

الأصل في الكبر أنه خُلُقٌ باطن، يُثمر أقوالاً وأفعالاً وأحوالاً ظاهرة تسمّى هي الأخرى كبرًا أو تكبرًا، ويختلف سببه باختلاف طبيعة الكبر حيث إنّه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الكبر القلبي وسببه العجب، حيث يُعجب المتكبر بنفسه وعلمه وعمله ونحو ذلك، فيستعظم نفسه ويرى قدرها فوق قدر الغير، ومن كان كبره في قلبه ولم يُظهره قيل: في نفسه كبر.

القسم الثاني: الكبر الظاهر، وله أربعة أسباب هي:

١- العجب المتقدم ذكره وهو خاص بالمتكبر.

٢- الحقد. كمن غضب على شخص لسبب فلا يقبل منه شيئًا ولو كان يعلم أنّه قال الحق وأنّه أفضل منه، ومن ثم فالحقد يحمل على التكبر ولو من غير عجب.

٣- الحسد. وهو يوجب بغض المحسود وإن لم يقع منه أذى، فلا يقبل منه شيئًا ويعامله بأخلاق المتكبرين وقد يقر في نفسه أنّ المحسود خير منه.

٤- الرياء. كمن يتكبر أمام الناس على من هو أفضل منه، فيجادله ولا يقبل منه الحق خيفة أن يقول الناس إنّه أفضل منه، ولو كان خلا معه بنفسه لقبل منه وما تكبر عليه، فكبره في الظاهر دون الباطن، خلافًا لمن دافعه العجب أو الحقد أو الحسد فإنه يتكبر في السر والعلن، وكبره في الباطن والظاهر[٤].

---

(١) سورة نوح آية: ٧.
(٢) سورة هود: آية ٢٧.
(٣) سورة هود: آية ٣٨.

(٤) انظر في سبب الكبر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣٥٣/٣، ٣٥٤، والذخيرة للقرافي: ٢٥١/١٣، والروح: ٢٣٥، وفتح الباري: ٤٨٩/١٠، والزواجر عن اقتراف الكبائر: ١٢٠/١، ١٢٢.

ثانيًا: حكم الكبر:

نصّ العلماء على تحريم الكبر، وعدّه من كبائر الذنوب القلبية، وأصول الأخلاق المذمومة[١]، ويتأكد تحريمه في حقّ العلماء وطلبة العلم[٢].

قال الإمام القرافي، رحمه الله: «الكبر من أعظم ذنوب القلب، نسأل الله العافية، حتى قال بعض الأولياء: كلّ ذنوب القلب يكون معه الفتح إلا الكبر»[٣].

(١) انظر: الكبائر، الذهبي: ٧٦- ٧٨، والفوائد: ١٤٣، ومدارج السالكين: ١٣٣/١، والزواجر عن اقتراف الكبائر: ١٠٩/١-١٢٩.

(٢) حيث أطلق عليه الإمام الذهبي رحمه الله "أشَرّ الكبر وأكبره"، فقال: «وأشَرّ الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم في نفسه بفضيلته فإنّ هذا لم ينفعه علمه فإنّ من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فهذا من أكبر الكبر ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» الكبائر: ٧٨، وأشار الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله إلى قريب من هذا المعنى عند حديثه عن سرعة التكبر إلى العلماء الذين لم يمنحوا نور التوفيق، أو كان علمهم لأجل الدنيا، أو لم يخلصوا النية فيه، أو الذين يتردد إليهم الناس بقضاء مآربهم أو المبالغة في إكرامهم؛ لأنهم يرون غيرهم أقل منهم فيقصرون في حقوقهم التي أمر بها الإسلام كالسلام وعيادة المريض والبشر، مع طلبهم منهم أن لا يقصروا في حقوقهم؛ وذلك نتيجة جهل أحدهم بمقدار نفسه وربه، وكان الواجب عليه أن يتواضع لله تعالى وخلقه، ويخشى من سوء الخاتمة وأن يكون تكبره سببًا في سلب إيمان، والله المستعان. انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر: ١١٩/١.

(٣) الذخيرة للقرافي: ٢٥١/١٣.

وينقسم الكبر إلى قسمين:

القسم الأول: كبر الكفر. وهو كفر مثله بل أشدّ منه لجمعه بين الكفر والكبر[٤]، وصاحبه يُخلّد في نار جهنم، ولا يدخل الجنة مطلقًا إن لم يتب قبل موته[٥].

وذلك كمن يكفر بالله تعالى ورسله -عليهم السلام- تكبّرًا، كما في قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)[٦].

القسم الثاني: كبر غير مقرون بالكفر. فهذا لا يكفر صاحبه، ولكنَّه كبيرة من كبائر الذنوب والواقع فيه من أهل الوعيد بالنار إذا لم يتب، وهو تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له.

ومن صوره: الكبر الواقع من المسلم المتعاظم في نفسه[٧].

المطلب الثاني: التعريف بالخيلاء وعلاقته بالكبر.

جاء في إحدى روايات وصية نوح –عليه السلام- لابنه، قوله: «وأنهاك عن خصلتين: عن الكبر، والخيلاء»[٨]، وفي الفرعين الآتيين التعريف بالخيلاء وبيان علاقته بالكبر:

(٤) انظر: مدارج السالكين: ٣١٦/٢، ٣١٧.

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٦٦/٩، والمنهاج شرح صحيح مسلم: ٩٧/٢، وفتح الباري: ٤٩١/١٠.

(٦) سورة الصافات: آية ٣٥.

(٧) انظر: معالم السنن: ١٩٦/٤، والمنهاج شرح صحيح مسلم: ٢١٧/١، ٩٧/٢، ومجموع الفتاوى: ٦٧٧/٧- ٦٧٩، وروضة المحبين: ٢٢٢، وفتح الباري: ٤٩١/١٠، وبهجة قلوب الأبرار: ١٦٥.

(٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ح١٤٣٢٦، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد: ح٦٥٨٣.

الفرع الأول: التعريف بالخيلاء:

الخيلاء من مادة "خيل" وهو أصل واحد يدل على حركةٍ وتلوّن.

ومنه المختال في مشيته فهو يتلوّن في حركته ألوانًا.

وسُمّيت الخيل خيلاً لاختيالها وهو إعجابها بنفسها مرحًا، ومنه يقال: اختال فهو ذو خيلاء وخال ومخيلة أي ذو كبر وعجب.

وقيل الخيلاء: التكبر في المشي ولا يكون ذلك إلا مع سحب إزار.

وأضاف بعضهم النظر إلى معنى التخيّل في الخيلاء، وهو تصوّر خيال الشيء في النفس، فعرّفوا الخيلاء بأنّه: التكبر عن تخيّل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه.

وهذه الفضيلة قد تكون حقيقة أو مظنونة، لاشتمال التخيل على معنى الظن، فيقال خِلْتُ بمعنى ظننت[(١)].

وقد تنوعت عبارات العلماء في **تعريف الخيلاء في الشرع** وهي بمجموعها لا تخرج عن معناه اللغوي فمنهم من عرّفه بـ: الكبر والعجب[(٢)]، ومنهم من ذهب إلى أنّه: الكبر والمرح[(٣)]، وعرّفه بعضهم بـ: التبختر في المشي[(٤)].

ومنهم من قال: الخيلاء: الكبر واحتقار الناس.

وبعضهم رأى أنّ الخيلاء والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر بمعنى واحد[(٥)].

وذهب الإمام ابن تيمية، رحمه الله، إلى أنّ «الاختيال من التخيل، والتخيل من باب التصور الذي قد يكون تصورًا للموجود، وقد يكون تصورًا للمفقود. فإن كان مطابقًا للموجود ومحمودًا في القصد فهو تخيّل حقّ نافع. وإن كان مخالفًا للموجود مذمومًا في القصد فهو الباطل الضار»[(٦)].

وهذا التخيّل الباطل هو الذي نهى عنه نوح – عليه السلام- وهو أن يتخيّل العبد عن نفسه ما لا حقيقة له. فيتخيل أنّه أمر عظيم فوق ما هو عليه وأكثر مما يستحقه، ثم إنّه سيطلب ما يليق به من العلو الذي لا يصلح له أن يريده. من هذا النوع بطر الحق بجحده ودفعه؛ لتخيّله الباطل حقًا، والحق باطلاً[(٧)].

الفرع الثاني: أنواع الخيلاء وعلاقته بالكبر:

أولاً: أنواع الخيلاء:

---

(١) انظر: جمهرة اللغة: ٦٢٢/١، ومقاييس اللغة: ٢٣٥/٢، والمفردات في غريب القرآن: ٣٠٤، ومختار الصحاح: ٩٩، ولسان العرب: ٢٢٨/١١، ٢٢٩، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١٨٦/١، وتاج العروس: ٤٥٤/٢٨، ٤٦٠.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٩٣/٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر: ١١٠/١، ٢٥٩.

(٣) انظر: فتح الباري: ١١٥/١.

(٤) انظر: المعلم بفوائد مسلم: ٢٩٢/١.

(٥) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٢٤٩/١، والمنهاج شرح صحيح مسلم: ٣٤/٢، ٦٠/١٤، ٦١، و فتح الباري: ٣٥٢/٦.

(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: ١٧٨/١.

(٧) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ١٧/٦، ومجموع الفتاوى: ٢٣/١٤، ٢١٩-٢٢١، والمستدرك على الفتاوى: ١٧٨/١، ١٧٩.

جاء في النصوص ما يفيد تقسيم الخيلاء إلى مذموم ومحمود، كما في حديث جابر بن عتيك -رضي الله عنه- أنّ نبي الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: «من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله؛ فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله؛ فالغيرة في غير ريبة، وإنّ من الخيلاء ما يبغض الله، ومنها ما يحب الله، فأما الخيلاء التي يحب الله؛ فاختيال الرجل نفسه عند القتال، واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله؛ فاختياله في البغي» وفي رواية: «والفخر»[(١)].

فأما الاختيال الحقّ فما كان موافقًا للموجود مع سلامة النية؛ كمشية الاختيال في الحرب ونحوها تشجيعًا لنفسه وتقوية لها، وإظهارًا لاحتقاره أعداء الله وعدم اكتراثه بهم، وإدخاله الرعب عليهم، والاختيال عند الصدقة بأن لا يستكثر ما تصدق به ولا يبالي به بل يستقله مغالبةً للشيطان الذي يُخوّفه من نقصان ماله والفقر، وذلك كله ابتغاء وجه الله لا رياء وسمعة[(٢)].

وأما الاختيال الباطل فما كان مخالفًا للموجود مذمومًا في القصد، كالاختيال -بغير الحق- بغيًا وحسدًا، والفخر في الأقوال بنسبه أو ماله وجاهه ونحوها[(٣)].

ومن أمثلة الاختيال بالباطل، ما جاء في قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨))[(٤)]، وقوله تعالى: (لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣))[(٥)]، وما صح في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء، خُسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[(٦)].

فالاختيال في الآية الأولى ورد في مقابل مثاله وهو المشي في الأرض مرحًا وكبرًا وتبخترًا[(٧)]، وفي الثانية عني به الفرح بالدنيا المقرون بالكبر[(٨)]، ومثّل له في الحديث بإسبال الثياب وجرها كبرًا، وكله من قبيل البغي أي الظلم بوضع الشيء في غير موضعه لما في نفسه من الخيال الباطل والتصور الفاسد، والله تعالى أعلم.

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الخيلاء في الحرب: ح٢٦٥٩، والطبراني في المعجم الكبير: ح ١٧٧٢، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ح٢٢٢١، وحسنه لغيره الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود.

(٢) انظر: غريب الحديث: ١١٩/٢، ١٢٠، وشرح مشكل الآثار: ٥٠٢/١١، ومعالم السنن: ٢٧٦/٢، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين: ٨، ٢٢٢، ومدارج السالكين: ٢٩٩/٢، وعون المعبود: ٢٣٠/٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٢١/١٤، ومرقاة المفاتيح: ٢١٧٣/٥، وعون المعبود: ٢٣٠/٧.

(٤) سورة لقمان: آية ١٨.

(٥) سورة الحديد: آية ٢٣.

(٦) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار: ح٣٤٨٥.

(٧) انظر: جامع البيان: ١٤٣/٢٠-١٤٥، وتفسير القرآن: ٢٣٣/٤، والكشاف: ٤٩٧/٣، وتيسير الكريم الرحمن: ٦٤٩.

(٨) انظر: جامع البيان: ١٩٩/٢٣.

الثاني: علاقة الخيلاء بالكبر:

تبيّن من تعريف الكبر والخيلاء أنّ الكبر: بطر الحقّ وغمط الناس، وأنّ من بطر الحقّ ما يكون بسبب الخيلاء المذموم بتخيّله الحقّ باطلاً والباطل حقًّا، ومن ذلك تخيّله نفسه فوق ما يستحقّ وطلبه العلو بسبب ذلك، ومنه ما يكون حقدًا وحسدًا ونحوهما، وأما غمط الناس فليس من الاختيال، باستثناء جانب التصور المرتبط به إذا كان ناشئًا عن خيال باطل.

ويلاحظ في قول نوح –عليه السلام-: «وأنهاك عن خصلتين: عن الكبر، والخيلاء»[1]، اكتفاؤه بالنهي عن الخيلاء والكبر وعدم نهيه عن الشرك، كما جاء في أكثر الروايات، ولا إشكال في ذلك من عدة أوجه:

الأول: أنّ الكبر المنهي عنه في هذه الرواية يشمل الشرك والكفر، لدخولهما في معنى الكبر[2].

الثاني: يحتمل أنّه قصد بالكبر في هذه الراوية كبر الكفر، ولذا قرن به الخيلاء، لينصرف الكبر إلى كبر الكفر، وينصرف الخيلاء إلى الكبر غير المخرج من الملة، والله تعالى أعلم.

الثالث: أنّ من سلم من الكبر بمفهومه الشامل فسيقبل الحق وينقاد له وبهذا يسلم من الشرك.

الرابع: أنّ هذه الرواية التي لم يُذكر فيها النهي عن الشرك بلفظه، انفردت بالوصية بالتسبيح والتكبير، خلافًا لبقية الروايات التي فيها الأمر بالتسبيح والتحميد دون التكبير، فلعله أراد الاكتفاء فيها بالأمر بالتكبير عن التصريح بالنهي عن ضدّه وهو الشرك؛ لأنّ تكبير الله تعالى يعني؛ أنّه أكبر من كلّ شيء، ويلزم عنه أنّه لا شريك له، فالتكبير يبطل الشرك بالكلية، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) تقدّم تخريجه: ص ٣٠ حاشية: ٨.

(٢) انظر: تاج العروس: ١٣/١٤.

المبحث الثالث: العلاقة بين الشرك والكبر

قرن نوح –عليه السلام- في نهيه لابنه بين الشرك والكبر، وكذلك فعل لقمان الحكيم في موعظته لابنه، كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣))(١)، وقوله سبحانه على لسان لقمان: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨))(٢). وسنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء بشيء من الإيجاز على بعض أوجه العلاقة بين الشرك والكبر من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: التلازم بين الشرك والكبر:

بين الشرك والكبر تلازم من جهة المعنى، واجتماعهما في أهلهما، وبيان ذلك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: التلازم بين الشرك والكبر من جهة المعنى:

وبيانه في نقاط منها:

١- أنّ الشرك جعلُ لله ندًا في أمر من الأمور، والمتكبر قد جعل نفسه ندًّا لله تعالى بتعاليه وتعاظمه.

٢- أنّ الشرك صرف شيء مما يستحقه الله وحده لغيره، والمتكبر جعل طاعته لهواه دون الله.

(١) سورة لقمان: آية ١٣.

(٢) سورة لقمان: آية ١٨.

٣- أنّ الكبر بطر الحق ودفعه والإعراض عنه، والمشرك الذي بلغه الحقّ فأعرض عنه قد وقع في الكبر بإعراضه عن الحقّ ودفعه إيّاه. قال الإمام السمعاني، رحمه الله: «الشرك وترك الإقرار بالتوحيد استكبار»(٣).

٤- أنّ من معاني الكبر: الشرك والكفر، ومن أنواع الكفر الأكبر وأركانه: الكبر(٤).

قال الإمام السمعاني، رحمه الله: «أصل التكبر هو الشرك بالله، قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)(٥)، ومن التكبر الاستطالة على الناس واستحقارهم، والتهاون بهم»(٦).

٥- قيام الشرك والكبر على الكذب والتكذيب؛ فالمشرك قد كذب على الله حين جعل له شريكًا في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والمتكبر قد كذب حين جعل لنفسه من التعاظم ما ليس لها.

وقد جمع الله تعالى بين الكفر والكبر وبين الكذب في آيات من كتابه العزيز، منها قوله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠))(٧)، وقال جلّ شأنه: (بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩))(٨).

(٣) تفسير القرآن: ٥٥/٦.

(٤) انظر: الفوائد: ١٥٧، ومدارج السالكين: ٣٤٦/١.

(٥) سورة الصافات: آية ٣٥.

(٦) تفسير القرآن: ١٦١/٤، وانظر: مجموع الفتاوى: ٦٩،٧٠/٧.

(٧) سورة الزمر: آية ٦٠.

(٨) سورة الزمر: آية ٥٩.

الفرع الثاني: اجتماع الشرك والكبر في أهلهما:

إنّ تلازم الشرك والكبر من جهة المعنى يؤدي إلى وقوع التلازم بينهما في أهلهما، فكلّ مشرك أعرض عن الحق بعدما بلغه فهو متكبر، وكلّ متكبر لابد أن يكون فيه شرك. فالمستكبر عن عبادة الله لا بد أن يقع في عبادة غيره، ولو أن يعبد نفسه؛ لأنّه باختياله وفخره وتكبره قد أشرك بنفسه إن لم يشرك بغيره(١).

قال الإمام السمعاني رحمه الله: «كلّ مكذّب وكلّ كافر مستكبر، وإنّما كذّب وكفر تكبرًا»(٢).

وقد جمع اليهود والنصارى -المعرضون عن الحق بعد تبينه- بين الشرك والكبر، إلا أنّ الكبر أظهر في اليهود، والشرك أظهر في النصارى، قال تعالى في شرك النصارى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١))(٣)، وقال سبحانه في كبر اليهود: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)(٤)، وهذه الطريقة التي يتعامل فيها اليهود مع رسل الله إليهم هي حال المستكبر الذي يبطر الحق ولا يقبل إلا ما وافق هواه. وكلٌّ منهما شرٌّ من صاحبه، فاليهود شرٌّ من النصارى من جهة كونهم؛ أكثر كبرًا، وأقل رهبةً، وأعظم قسوةً، والنصارى شرٌّ منهم من جهة كونهم؛ أعظم ضلالاً، وأكثر شركًا، وأبعد عن تحريم ما حرم الله ورسوله(٥).

ولا يشكل على وصف النصارى المعرضين عن الحق بعد تبينه بالكبر، ما جاء في قوله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا **وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦))(٦)؛ لأنّ هذه الآيات تنفي الكبر عمّن قبل منهم الحق، فوافق قبوله أصل طبيعتهم، وبيانه أنهم في الأصل أهل شرك لا كبر، والشرك فيهم مبتدع، فمن تبين له منهم الحق فاتبعه، فقد بقي على طبيعته، لقوله تعالى: (**وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

---

(١) انظر: جامع البيان: ٥٠٥/١٠، ٥٠٦، وجامع المسائل: ٢٢٤/٦-٢٢٨، ومجموع الفتاوى: ١٩٦/١٠، ٣٣١/١٨، ومدارج السالكين: ٣١٦/٢.

(٢) تفسير القرآن: ١٧٩/٢.

(٣) سورة التوبة: آية ٣٥.

(٤) سورة البقرة: آية ٨٧.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٧٧/٢، ٣٧٨، ومجموع الفتاوى: ٦٢٥/٧-٦٢٩، ١٩٨/١٠، ٣٣١/١٨.

(٦) سورة المائدة: الآيات ٨٢-٨٦.

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)) [١] إلى آخر الآيات، فهم في الغالب أقرب للإيمان من اليهود والمشركين لما في قلوبهم من المودة وترك الكبر، وأما من أعرض منهم عن الحق بعدما تبين له فلا ريب أنه مشرك متكبر [٢]، ومن ذلك ما جاء في وصف الله تعالى في كتابه الكريم لكثيرٍ من الأحبار وهم علماء اليهود والرهبان وهم عباد النصارى، بأكل أموال الناس بالباطل وصدّهم عن سبيل الله، فقال سبحانه: (إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [٣]، والصدّ عن سبيل الله من أكبر الكبر، لاشتماله على الإعراض عن الحق بعد تبيّنه، وصدّ الغير عن الاهتداء به [٤].

المطلب الثاني: الشرك والكبر ضدّ الإسلام:

أرسل الله تعالى جميع رسله بالإسلام، وهو الاستسلام لله تعالى، فمن لم يستسلم لله فقد استكبر، ومن استسلم له ولغيره فقد أشرك، وقد جعل الله الجنة لأهل الإيمان، والنار لأهل الشرك والكبر [٥]، قال الله تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢)) [٦]، وقال سبحانه: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)) [٧].

قال شيخ الإسلام، رحمه الله: «الإسلام الذي هو دين الله الذي أنزل به كتبه؛ وأرسل به رسله؛ وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين؛ فيستسلم لله وحده لا شريك له ويكون سالماً له بحيث يكون متألّهًا له غير متأله لما سواه كما بيّنَته أفضل الكلام ورأس الإسلام وهو: شهادة أن لا إله إلا الله. وله ضدّان: الكبر والشرك ولهذا روي: أنّ نوحًا -عليه السلام- أمر بنيه بـ: لا إله إلا الله، وسبحان الله، ونهاهم عن الكبر والشرك» [٨].

فجعل نوح –عليه السلام- الشرك والكبر في مقابل ما أمر به من التهليل والتسبيح اللّذين يجمعان معاني الإسلام والإيمان والتوحيد، فكلما امتلأ القلب بالإسلام والإيمان والتوحيد تطهر من ضدّها وهو الشرك والكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: «كلّ من كان أعظم تحقيقًا للإسلام كان أبعد عن الشرك والكبر، وكلّ من كان أبعد عن الإسلام كان أقرب إلى الشرك والكبر» [٩].

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٨٢-٨٣.

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٨٧/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٢٥٨/٦، والجواب الصحيح: ١١٢/٣، ١١٠، ومجموع الفتاوى: ٦٢٦/٧- ٦٢٩ وتيسير الكريم الرحمن: ٢٤٢.

(٣) سورة التوبة: جزء من آية ٤٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٣١٥/١٦، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ٢٩٩/١.

(٥) انظر: جامع الرسائل: ٢٣٣/١، وجامع المسائل: ٢٢٣/٦، ومجموع الفتاوى: ١٤/١٠، والجواب الكافي: ١٤٤.

(٦) سورة النحل: آية ٢٢.

(٧) سورة المائدة: جزء من آية ٧٢.

(٨) مجموع الفتاوى: ٦٢٣/٧.

(٩) جامع المسائل: ٢٣٠/٦، وانظر: مجموع الفتاوى: ١٩٨/١٠.

المطلب الثالث: الشرك والكبر تعدّي على حقّ الله تعالى:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعدّي الشرك على حقّ الله تعالى في التوحيد والعبادة:

إنّ حقّ الله، جلّ وعلا، على عباده هو ما خلقهم لأجله أن يعبدوه وحده لا شريك له.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦))[١].

وقد فسّر الإمام البخاري وغيره، رحمهم الله، العبادة بالتوحيد[٢]، وقيل أي: ليتذللوا لي بالطاعة فعلاً للمأمور، وتركًا للمحظور، ولا ريب أنّ من أعظم طاعة الله تعالى توحيده، جلّ وعلا[٣].

فلمّا كان حقّ الله تعالى على عباده أن يوحدوه أي؛ يعبدوه وحده لا شريك له، كان الشرك اعتداء على توحيد الله تعالى، ومنافاة لأكبر شيء خلق الله الخلق لأجله، ولذا فقد حرمه الله تعالى، وبيّن أنه أعظم الظلم[٤]، وأعظم الذنوب، وأكبر الكبائر على الإطلاق، وأنّه لا يغفره مطلقًا إلا بالتوبة منه، والدخول في دين الإسلام[٥].

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨))[٦]، وقال سبحانه: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣))[٧]. وجاء في حديث أبي بكرة - رضي الله عنه- قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشهادة الزور - ثلاثًا - أو: قول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٨]. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥.

(٢) وهذا التفسير مأخوذ عن النبي، صلى الله عليه وسلم ، حيث إنّه حين أرسل معاذًا ﷺ إلى اليمن أمره أن يدعو أهلها إلى عبادة الله وفي رواية إلى توحيد الله، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذًا ﷺ على اليمن، قال: «إنّك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله... إلخ» رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة: ح١٤٥٨، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: ح ١٩. **وفي رواية**: «إنّك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ... إلخ» رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى: ح٧٣٧٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٣٩/٦، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول: ٨٣/١، والقول المفيد على كتاب التوحيد: ٢٦/١.

(٤) وجه كون الشرك ظلمًا؛ أنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك قد وضع بشركه الشيء في غير موضعه، ووجه كونه عظيمًا؛ أنّ المشرك قد سوّى من لا نعمة منه البتّة بمن لا نعمة إلا منه، سبحانه، ومن لا يملك من الأمر شيئًا بمن الأمر كله له، والناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه. انظر: تفسير القرآن: ٢٣٠/٤، والكشاف: ٤٩٤/٣، ومجموع الفتاوى: ٢٣/١٥، وبدائع الفوائد: ١٣/٣، والجواب الكافي: ١٣٩، وروح المعاني: ٨٤/١١، وتيسير الكريم الرحمن: ٦٤٨.

(٥) انظر: الرد على الإخنائي: ٤٦٦، ٤٦٧، وجامع الرسائل: ٢٥٤/٢، ومجموع الفتاوى ٨٨/١، ٤٢٨/١٥، ١٦١/١٨، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ٦٢/١، والجواب الكافي: ١٤٤، وتفسير القرآن العظيم ٣٣٦/٦، والقول المفيد على كتاب التوحيد: ١١٤/١.

(٦) سورة النساء: آية ٤٨.

(٧) سورة لقمان: آية ١٣.

(٨) تقدم تخريجه: ص ٣٢ حاشية: ٢.

الله عليه وسلم- أنّه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات[١]»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[٢].

وجاء في حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت النبي، صلى الله عليه وسلم: أيّ الذّنبّ أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». قلت: إنّ ذلك لعظيم، قلت: ثمّ أيّ؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثمّ أيّ؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[٣].

فمن أشرك بالله تعالى جاعلاً له ندًا وهو خلقه، فقد وقع في أكبر الكبائر وأعظم الظلم، وذلك لسوء ظنّه بربّه حيث ظنّ به خلاف كماله المقدس في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فاعتدى على حقّه بجعله له شريكًا في ملكه أو عبادته أو أسمائه وصفاته، ولو قدّر الله حق قدره لظنّ به ما هو أهله ولما أشرك به شيئًا[٤].

الفرع الثاني: تعدّي الكبر على حق الله في التفرد بالعظمة والكبرياء:

اختصّ الله تعالى نفسه بالكبرياء والعظمة، فمن نازعه فيهما فقد نازعه في لوازم ذاته وخصائص ربوبيته، فاستحق على ذلك العقاب الشديد[٥]، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله، سبحانه: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحدًا منهما، ألقيته في جهنم»[٦].

قال الإمام الخطابي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: «معنى هذا الكلام أنّ الكبرياء والعظمة صفتان لله –سبحانه- اختصّ بهما لا يشركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما؛ لأنّ صفة المخلوق التواضع والتذلل، وضرب الرداء والإزار مثلاً في ذلك يقول: والله أعلم، كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق، والله أعلم»[٧].

ومن صور الاعتداء على حقّ الله تعالى في الكبرياء والعظمة:

---

(١) الموبقات هي كبائر الذنوب المهلكات، وسميت بذلك لإهلاكها صاحبها إذا لم يتب منها، وقيل هي التي يحاسب عليها العبد ويعاقب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:١٤٦/٥، والمنهاج شرح صحيح مسلم: ٨٤/٢، وفتح الباري: ١٩١/١، ١٨٢/١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: (إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا): ح٢٧٦٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها: ح٨٩.

(٣) تقدم تخريجه: ص ٣٢ حاشية ١.

(٤) انظر: الجواب الكافي: ١٣٦- ١٤٤.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ١٣٨/٦، ١٣٩، ١٩٦/١٠، ومفتاح دار السعادة: ١١٥/٢، ومدارج السالكين: ٤٣٣/٣.

(٦) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع: ح٤١٧٤ واللفظ له، وأبو داود في كتاب اللباس، باب: ما جاءَ في الكبر: ٤٠٩٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٥٤١، والأرناؤوط في تحقيقه للمسند، وأصله في صحيح مسلم بلفظ: (العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته) رواه في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر: ح٢٦٢٠.

(٧) معالم السنن: ١٩٦/٤، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٤/١.

١ـ التكبر على عبادته تعالى، كما في قوله، جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾[١].

٢ـ عدم الاستجابة للرسل كبرًا وعنادًا، فمن استكبروا على رسل الله، فقد استكبروا على مرسلهم، وهو الله جل وعلا[٢].

٣ـ التكبّر عن قبول الحقّ من أي طريقٍ جاء.

قال الإمام ابن القيم، رحمه الله: «من تكبّر عن الانقياد للحقّ أذلّه الله ووضعه، وصغّره وحقّره. ومن تكبّر عن الانقياد للحق ـ ولو جاءه على يد صغير، أو من يبغضه أو يعاديه ـ فإنّما تكبّره على الله، فإنّ الله هو الحقّ. وكلامه حقّ. ودينه حقّ. والحقّ صفته. ومنه وله. فإذا ردّه العبد وتكبّر عن قبوله: فإنّما ردّ على الله، وتكبّر عليه»[٣].

٤ـ التعالي على الناس والتعاظم عليهم وأن يدعوهم المتكبر إلى إطرائه في المدح وتعظيمه ونحو ذلك، فمن فعل ذلك فقد تشبه بالله تعالى، ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق أن يهينه، جلّ وعلا، غاية الهوان، ويُذلّه غاية الإذلال، ويجعله تحت أقدام خلقه[٤].

وفي حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنّ النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن من جهنم يسمى: بُولَس[٥] تعلوهم نار الأنيار، ويسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال[٦]»[٧].

فالواجب على العبد أن ينزع عن قلبه رداء الكبر والعظمة الذي ليس له، ويلبس رداء الذل والانكسار والفقر والفاقة، فما لبس العبد ثوبًا أكمل عليه وأحسن من ثوب العبودية والذل لله تعالى، ولا عز له في الدنيا والآخرة بغير العبودية والذلة والتواضع لله، جلَّ وعلا، ومن تواضع لله واستكان له قرّبه ورفعه في الدنيا والآخرة[٨]، كما في حديث أبي هريرة ـرضي الله عنهـ عن رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٩].

---

(١) سورة غافر: جزء من آية ٦٠.

(٢) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر: ٩٢/١.

(٣) مدارج السالكين: ٣١٧/٢.

(٤) انظر: الجواب الكافي: ١٣٧.

(٥) هكذا اسمه في الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٦٤/١، وتاج العروس: ٤٦٤/١٥.

(٦) اسم عصارة أهل النار، وهو ما سال من جلودهم. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٨/٢، ولسان العرب: ١٩٨/١١.

(٧) رواه أحمد في مسنده: ح٦٦٧٧، والبخاري في الأدب المفرد: ح٥٥٧، واللفظ له، والترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع: ح٢٤٩٢، وقال: «هذا حديث حسن»، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(٨) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم: ١٤٢/١٦، وبيان تلبيس الجهمية: ٦٨/٦، ومفتاح دار السعادة: ٢٩٢/١، ٢٩٣.

(٩) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع: ح٢٥٨٨.

المبحث الرابع: الاحتجاب عن الشرك والكبر وعقوبتهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: احتجاب الله وصالح خلقه عن الشرك والكبر:

جاء في وصية نوح -عليه السلام- لابنه قوله: «وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما، وصالح خلقه، أنهاك عن الشرك والكبر»[١]، وفي رواية: «وأنهاك عن اثنتين: الشرك والكبر، فإنهما تحجبان عن الله»[٢].

والاحتجاب في اللغة من الحجب وهو أصل واحد يدل على المنع.

ومنه الحجاب وهو الستر، واسم ما احتجب به. وكل ما حال بين شيئين فهو حجاب، والجمع حجب.

يقال: حجب الشيء يحجبه حجبًا وحجابًا وحجبه: ستره. وقد احتجب وتحجب إذا اكتنَّ أي استتر وتخفى من وراء حجاب. وحجبه منعه من الدخول. وكلّ شيء منع شيئًا فقد حجبه.

والحجاب أن تموت النفس وهي مشركة، يعني أنها حُجبت بالموت عن الإيمان والرحمة.

ويطلق الحجاب على الحاجز في النحلة والدِّين بين المؤمنين والكافرين[٣]، قال تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥))[٤].

وبناء على الدلالات السابقة للاحتجاب، فإنّ حجب الشرك والكبر عن الله تعالى، واحتجابه عنهما وصالح خلقه، يحتملان معاني يمكن استظهار شيء منها فيما يأتي:

أولاً: حجب الشرك والكبر عن الله تعالى واحتجابه عنهما:

ومن المعاني التي يحتملها:

١- حجب المشركين والمتكبرين عن الانتفاع بآيات الله تعالى:

يعاقب الله تعالى المشركين الذين تكبروا عليه وعلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- بأن يجعل بينهم وبين الاستجابة للحق وفهم القرآن الكريم حجابًا يحول بينهم وبينه فلا ينتفعون به جزاء وفاقًا[٥]، كما في قوله تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥))[٦]، وقوله سبحانه: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى: ح١٠٦٠٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ح٣١٥٤٣.

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي: ح٣٠٦٩، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: ١٥٥/٦.

(٣) انظر: مقاييس اللغة: ٢/ ١٤٣، ولسان العرب: ٢٩٨/١، ٢٩٩، =

= وتاج العروس: ٢٣٩/٢- ٢٤٣.

(٤) سورة فصلت: آية ٥.

(٥) انظر: جامع البيان: ٤٥٧/١٧، وتفسير القرآن العظيم: ١٦١/٧، وتيسير الكريم الرحمن: ٤٥٩، ٧٤٥.

(٦) سورة فصلت: آية ٥.

وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦))[1]، وقوله عزّ وجل: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦))[2]، وقوله تبارك اسمه: (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥))[3].

فهؤلاء القوم لما أفسدوا قلوبهم بالشرك والكبر والذنوب والمعاصي حيل بينهم وبين قلوبهم، فلم يصلوا إليها بالإصلاح والتزكية ومنع ما يفسدها ويشقيها، وحيل بين قلوبهم وبين الوصول إلى مرضاة الله تعالى فحرموا الفوز بقربه وكرامته، فكان شركهم وكبرهم وذنوبهم حجابًا بينهم وبين ربهم وخالقهم، وحجابًا لهم عن رؤية الحق والباطل، فصاروا يرون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، والمعروف في صورة المنكر، والمنكر في صورة المعروف، فلا ينقادون لله تعالى، ولا يخلصون ولا يتوبون ولا ينيبون ولا يقبلون الحقّ ونصيحة الخلق ولا يتواضعون لله وخلقه، ولا يعتبرون بأيّام الله[4].

٢- حجب الشرك والكبر عن الله تعالى:

يحجب الله تعالى الشرك والكبر عن الصعود إليه تعالى والولوج عليه كما يكون للكلم الطيب[5]، ويحجب العمل المقرون بالشرك والكبر المخرج من الملة عن القبول والثواب؛ لأنّه لم يُعمل لله تعالى[6].

قال تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣))[7]، وقال جل وعلا: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧))[8].

وجاء في النصوص ما يفيد حجب أرواح أهل الشرك وكبر الكفر عن الصعود إلى الله تعالى عند مفارقتها للبدن[9]، كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠))[10].

قال الإمام الطبري، رحمه الله، في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: إنّ الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها، ولم يتبعوا رسلنا (وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا)، يقول: وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ)، لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم (أَبْوَابُ السَّمَاءِ)، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل؛ لأنّ أعمالهم

(١) سورة الإسراء: الآيات ٤٥-٤٦.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٤٦.
(٣) سورة غافر: جزء من آية ٣٥.
(٤) انظر: الجواب الكافي: ١١٩، وشفاء العليل: ٨٦، والفوائد: ١٥٨.
(٥) قال الله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) = سورة فاطر: جزء من آية ١٠.
(٦) انظر: جامع البيان: ٢٥٦/١٩، ٢٥٧، وزاد المسير: ٥٠٧/٣.
(٧) سورة الفرقان: آية ٢٣.
(٨) سورة الأعراف: آية ١٤٧.
(٩) انظر: زاد المسير في علم التفسير: ٥٠٧/٣، وتيسير الكريم الرحمن: ٢٨٨.
(١٠) سورة الأعراف: آية ٤٠.

=

خبيثة، وإنّما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح، كما قال جلّ ثناؤه: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[1] »[2].

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال عن روح الكافر بعد موته: «... ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنّه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء، **ثم تصير إلى القبر**»[3].

ومن حجب الكبر عن الله تعالى؛ أنّ الله تعالى لا ينظر يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاء، ولا يكلم المتكبرين، ولا يزكيهم، إضافة إلى غضبه عليهم، لما جاء في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: «من جَرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[4]، وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم - قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر[5] »[6].

٣- حجب المشركين والمتكبرين الكافرين عن رؤية الله تعالى:

يجازي الله تعالى الكافرين والمتكبرين بجنس عملهم، فكما حجبوا أنفسهم بالشرك والكبر عن الإيمان بالله تعالى في الدنيا، فقد حجب الله تعالى أرواحهم عن الصعود إليه بعد الموت، وكذلك فإنّهم محجوبون عنه يوم القيامة، وهم في النار أعظم حجبًا، فلا يرونه مطلقًا، كما هو قول جمهور السلف[7]؛ لعموم قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥))[8]، وقوله سبحانه: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧))[9].

---

(١) سورة فاطر: جزء من آية ١٠.

(٢) جامع البيان: ٤٢١/١٢، وانظر: ٤٢٣، وزاد المسير في علم التفسير: ١١٨/٢، ١١٩، وتفسير القرآن العظيم: ٤١٤/٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح٨٧٦٩، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له: ح٤٢٦٢، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: ٢٥٠/٤، والألباني في صحيح ابن ماجة، والأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

(٤) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء: ح٥٧٨٤، واللفظ له، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء، وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب: ح٢٠٨٥.

(٥) أي فقير ليس عنده ما يوجب الكبر، ومع ذلك يتكبر على الناس. انظر: شرح رياض الصالحين: ٥٥١/٣.

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: ح١٠٧.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى: ٤٦٦/٦- ٥٠٣، وتفسير القرآن: ١٨١/٦، وشفاء العليل: ٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٣٥١/٨، وتيسير الكريم الرحمن: ٢٨٨.

(٨) سورة المطففين: آية ١٥.

(٩) سورة طه: الآيات ١٢٤-١٢٧.

واحتجاب الله تعالى عن أهل الشرك والكبر في الآخرة أعظم أنواع العذاب، كما أنّ لذّة النظر إلى وجهه الكريم أعلى اللذات، وأعظم الكرامة والنعيم، فاجتمع عليهم -والعياذ بالله- عذاب الحجاب وعذاب الجحيم(١).

ثانيًا: احتجاب صالح خلق الله عن الشرك والكبر:

ومن المعاني التي يحتملها:

١- الامتناع عن الشرك والكبر والابتعاد عنهما:

فهذا إمام الحنفاء وأبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم -عليه السلام- يثني عليه ربّه -عز وجل- بامتناعه عن الشرك، فقال، سبحانه: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧))(٢)، وكان من هديه -عليه السلام- خوفه من الشرك رغم سلامته منه، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦))(٣).

وقوله: (**وَاجْنُبْنِي**) من الجنب، و«الجيم والنون والباء أصلان متقاربان أحدهما: الناحية، والآخر البعد»(٤).

وهذا يعني أنّ تجنّب عبادة الأصنام(٥) واجتنابها هو: أن يكون في ناحية بعيدًا عنها(٦)، وهو يُضيف بعدًا آخر إلى البعد عن عبادتها، وهو البعد القلبي والبدني عنها، ولذا كان من تحقيق التوحيد أن يجتنب المسلم الشرك ويبتعد عنه وعمَّا يوصل إليه من الأقوال والأعمال ولو لم تكن شركًا(٧).

وعلى نهج الخليل -عليه السلام- في البعد عن الشرك والتبرؤ منه، سار خليل الله وكليمه محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، كما في قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨))(٨).

وجاء عن الصحابة ما يفيد اجتنابهم للشرك ومنه النفاق، والكبر، وخوفهم منهما، كما في قول أبي مليكة رحمه الله: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم يخاف النفاق على نفسه»(٩).

وصحّ أنّ عبد الله بن عمرو، التقى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهم، على المروة فتحدّثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو، وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: - هذا يعني عبد الله بن عمرو - زعم أنّه سمع رسول الله -

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٧/١، ٤٦٦/٦، وإغاثة اللهفان: ٣٢/١، وطريق الهجرتين: ٥٩، ومدارج السالكين: ١٥٦/٣.

(٢) سورة آل عمران: آية ٦٧.

(٣) سورة ابراهيم: الآيات ٣٥-٣٦.

(٤) مقاييس اللغة: ٤٨٣/١.

(٥) جمع صنم، وهو ما جُعِلَ على صورة إنسان أو غيره؛ يعبد من دون الله، وهو نوع من الأوثان التي تعني ما عُبدَ من دون الله، على أي وجه كان. انظر: القول المفيد: ١١٦/١.

(٦) انظر: مختار الصحاح: ٦٢.

(٧) انظر: القول المفيد: ٢٠٩/١، ٤٣٧-٤٥٣.

(٨) سورة يوسف: آية ١٠٨.

(٩) ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٥٢/٢، وانظر: فتح الباري: ١١٠/١.

صلى الله عليه وسلم- يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، أكبه الله على وجهه في النار» [١].

وجاء عن بعضهم أنّهم قاموا بأعمال تُذهب الكبر عن القلب، فعن عبد الله بن حنظلة قال: مرّ بي عبد الله بن سلام رضي الله عنه في السوق وعلى رأسه حزمة من حطب، فقال له ناس: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عنه؟ قال: أردت أن أدفع به الكبر. وذاك أني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من كبر» [٢].

والاحتجاب عن الشرك والكبر والامتناع عنهما هو طريق جميع صالح خلق الله من الإنس وغيرهم، كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)) [٣]، وقال عز وجل: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)) [٤].

٢- الاحتجاب عن المشركين والمتكبرين في الدنيا والآخرة.

والكلام هنا عن حالين:

الحال الأولى: الاحتجاب عن المشركين والمتكبرين في الدنيا:

الأصل في المسلم أن يكون مع إخوانه المسلمين بقلبه وبدنه، وأن يفارق أهل الشرك والكبر وديارهم ويعتزلهم ويحتجب عنهم بقلبه، وبدنه إذا قدر عليه، ومن احتجابه عنهم بقلبه، أن لا يركن إليهم، ولا يتّخذهم أولياء أو بطانة من دون المؤمنين، فضلاً عن أن يتقرب إليهم بالتنازل لهم عن دينه أو بعضه، أو يعينهم على المؤمنين، ومن احتجابه عنهم ببدنه الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام إذا استطاع؛ لغضب الله على أهل الشرك، ولئلا يتأثر بهم أو يتأذّى منهم أو يصيبه ما يصيبهم؛ ويستثنى من ذلك أحوال الضرورة والحاجة المعتبرة والمصلحة الراجحة ونحوها، مع كراهية قلبه للإقامة بينهم [٥].

فهذا الخليل إبراهيم –عليه السلام- اعتزل قومه وشركهم، فوهبه الله إسحاق ويعقوب، كما في قوله تعالى: (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)) [٦].

وجاء في حديث جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك،

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح٧٠١٥، وصححه أحمد شاكر والأرناؤوط في تحقيقهما للمسند.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ح٣٦٣، والأصبهاني في الترغيب والترهيب: ح٦٢٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩٩/١: «رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٣٢٥٧.

(٣) سورة الأعراف: آية ٢٠٦.

(٤) سورة النحل: الآيات ٤٩-٥٠.

(٥) انظر: أحكام أهل الذمة: ٤٥٢/١، وزاد المعاد: ١١١/٣، والتنوير شرح الجامع الصغير : ١٨٩/١٠، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٢٥/٣، ٢٦، ١٣٠/٦-١٣٩.

(٦) سورة مريم: الآيات ٣٨-٤٩.

واشترط عليَّ، فأنت أعلم، قال: «أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين»[(١)].

وعنه أيضًا -رضي الله عنه- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما»[(٢)].

قال الإمام ابن الأثير رحمه الله: «أي يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل المشرك، ولا ينزل بالموضع الذي إذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله، ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم. وإنما كره مجاورة المشركين لأنهم لا عهد لهم ولا أمان، وحث المسلمين على الهجرة»[(٣)].

ويدخل في الاحتجاب عن أهل الشرك والكبر حجب مشاعر المودة عنهم، وعدم اتخاذهم أولياء بالنصر ونحوه[(٤)]، كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١))[(٥)].

وهذا لا يعارض جواز الإحسان إلى غير المحاربين منهم[(٦)]، لقوله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩))[(٧)].

وحجب مشاعر الحب والمودة عن أهل الكفر هو نهج جميع صالح خلق الله تعالى[(٨)]، كما في قوله، جلَّ وعلا، عن عدم بكاء السماء والأرض عليهم: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩))[(٩)].

وأما المسلم الواقع في الشرك والكبر غير المُخْرِجَيْن من الملة فالأصل نصيحته وتوجيهه وهجر معاصيه، والأماكن التي تظهر فيها، إلا لحاجة، ويشرع هجره على وجه التأديب إذا لم يستجب، وكان في الهجر تحقيق مصلحة راجحة كامتناعه عن الشرك أو الكبر المذكورين أو زجر غيره عنه ونحوه، وأمّا إذا كان الهجر يزيده غيًّا وعنادًا أو

(١) رواه أحمد في مسنده: ح١٩٢٣٨، والنسائي في كتاب البيعة، البيعة على فراق المشرك: ح٤١٧٧، واللفظ له، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٦٣٦، والأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود: ح٢٦٤٥، والترمذي في أبواب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين: ح ١٦٠٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٧/٢، وانظر: ١٢٥/٥.

(٤) انظر: جامع البيان: ٣٠٩/٢٣.

(٥) سورة الممتحنة: آية ١.

(٦) انظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢٧٠/٤، وأحكام أهل الذمة: ٦٠٢/١، وتفسير القرآن العظيم: ٩٠/٨.

(٧) سورة الممتحنة: الآيات ٨-٩.

(٨) انظر: تفسير القرآن: ١٢٦/٥، ١٢٧، وتفسير القرآن العظيم: ٢٥٣/٧.

(٩) سورة الدخان: الآيات ٢٥-٢٩.

يترتب عليه مفاسد أكبر من مصالحه لم يُشرع، وهو بهذا يختلف حسب الأشخاص والأحوال[١].

الحال الثانية: الاحتجاب عن المشركين والمتكبرين في الآخرة:

وأظهر ذلك احتجاب المؤمنين في الجنة عن أهل النار من المشركين والمتكبرين، كما في قوله تعالى: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦))[٢].

قال الإمام ابن كثير، رحمه الله: «لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار، نبَّه أن بين الجنة والنار حجابا، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة»[٣].

وقد أشار النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى بعد أهل الكبر عنه وعن مجلسه يوم القيامة، كما في حديث جابر -رضي الله عنه- أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إنَّ من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة؛ الثرثارون والمتشدقون[٤] والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[٥].

المطلب الثاني: تحريم الجنة على المشركين والمتكبرين ودخولهم النار:

جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- النص على منع المشركين والمتكبرين من دخول الجنة، وأنّ مصيرهم النار، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠))[٦].

قال الإمام الطبري، رحمه الله: «يقول جلّ ثناؤه: ولا يدخل هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها، الجنة التي أعدّها الله لأوليائه المؤمنين أبدًا، كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبدًا، وذلك ثقب الإبرة»[٧].

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠))[٨]، وقال، جلّ وعزّ: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢))[٩].

ومن الأحاديث الواردة في توعد المشركين بالنار والمتكبرين، حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٠٣-٢٠٩.

(٢) سورة الأعراف: آية ٤٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣/٤١٧، وانظر: جامع البيان: ١٢/٤٤٩، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣/٢٣١.

(٤) قال الترمذي في آخر الحديث: «الثرثار: هو الكثير الكلام، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم»

(٥) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق: ح٢٠١٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٦) سورة الأعراف: آية ٤٠.

(٧) جامع البيان: ١٢/٤٢٧.

(٨) سورة غافر: جزء من آية ٦٠.

(٩) سورة المائدة: جزء من آية ٧٢.

فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار» [(١)]، وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [(٢)].

فهذه النصوص وأمثالها تدلّ على أنّ الشرك والكبر من أسباب دخول النار والحرمان من دخول الجنة[(٣)].

فأما الشرك والكفر المخرجان من الملة والكبر المقرون بهما، فصاحبه خالد مخلد في نار جهنم، ولا يدخل الجنة مطلقًا إن لم يتب قبل موته ويلتزم التوحيد[(٤)].

وأمّا الشرك والكفر الأصغران فصاحبه من أهل الوعيد بالنار إذا لم يتب، وهو تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، وقيل في الشرك الأصغر: إنّ الله لا يغفره إذا لم يتب منه؛ لعموم قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)[(٥)]، حيث جاء ذكر الشرك في هذه الآية في صورة نكرة في سياق النفي وذلك يفيد العموم، وبناء على هذا الرأي فإنّ الشرك الأصغر لا تكفّره الأعمال الصالحة ونحوها، ومن ثم فإمّا أن يعذب الواقع فيه قبل دخوله الجنة، وإمّا أن يدخل شركه الأصغر في موازنة الحسنات والسيئات، فإن رجحت حسناته كان من أهل الجنة، وإلا فهو مستحق للنار إلا أن يتغمّده الله برحمته[(٦)].

وأمّا الكبر الواقع من المسلم فصاحبه من أهل الوعيد بالنار إذا لم يتب، وهو تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه ثم يدخله الجنّة، وإن شاء غفر له، ولكنّه لا يدخل الجنّة وفي قلبه شيء من الكبر بل لابد أن يتطهر منه أولاً بما يقدّره الله له ثم يدخلها[(٧)].

المطلب الثالث: رفع عقوبة الشرك والكبر بالتوحيد والتوبة:

يجب على من وقع في شيء من الشرك أو الكبر المسارعة إلى التوبة على الفور من غير تأخير[(٨)]، لما في الشرك والكبر من الاعتداء على حقّ الله تعالى ومنافاة ما أمر به، ولما يجلبانه من العقوبات العاجلة والآجلة.

فأما التوبة من الشرك كلّه أو بعضه فتكون بالإقلاع عنه ولزوم التوحيد، ومن ذلك: أن يقول: لا إله إلا الله، ويستغفر، ويتعوذ من الشيطان، وينفث عن يساره، ولا يعود للشرك مرة أخرى[(٩)]، لما جاء في

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار: ح٩٣.

(٢) تقدم تخريجه: ص ١٣ حاشية: ٤.

(٣) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ٦٩

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٦٦/٩، والمنهاج شرح صحيح مسلم: ٩٧/٢، ومجموع الفتاوى: ٨٨/١، ٣٥٨/٢، ٢٩٠/٣، وفتح الباري: ٤٩١/١٠.

(٥) سورة النساء: جزء من آية ٤٨.

(٦) انظر: جامع الرسائل: ٢٥٤/٢، والمستدرك على مجموع الفتاوى: ١٩٣/٣، والفروع: ٦٦/٦، والقول المفيد: ١١٤/١، ٢٠٧.

(٧) انظر: صحيح ابن حبان: ٤٩٤/١٢، ومعالم السنن: ١٩٦/٤، ١٩٧، والمنهاج شرح صحيح مسلم: ٢١٧/١، ومجموع الفتاوى: ٣٥٨/٢، ٦٧٧/٧- ٦٧٩، وروضة المحبين: ٢٢٢، وفتح الباري: ٤٩١/١٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١٤٣/٤.

(٨) انظر: معالم السنن: ٤٥/٤، ومدارج السالكين: ٢٨٣/١، وتيسير العزيز الحميد: ٨٧، ٨٨.

(٩) انظر: المنهاج: ١٠٧/١١، والمستدرك على مجموع الفتاوى:

=

حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: حلفت باللات والعزى، فقال أصحابي: قد قلت هُجْرًا(٢)، فأتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت: إن العهد كان قريبًا، وإني حلفت باللات والعزى، فقال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «قل: لا إله إلا الله وحده ثلاثًا، ثم انفث عن يسارك ثلاثًا، وتعوّذ ولا تعد»(٣).

وأرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- الصدّيق -رضي الله عنه- إلى دعاء يذهب بالشرك كلّه كبيره وصغيره، ولاسيما أنّ الإنسان قد يقع في الشرك وهو لا يعلم لشدّة خفائه، فلا ينجيه من ذلك إلا توبة عامة مما يعلمه من ذنوبه ومما لا يعلمه(٤)، كما في حديث معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهًا آخر؟ قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: «قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»(٥).

فالتوحيد مع الاستغفار يذهبان بالشرك كلّه، يُذهب التوحيد أصل الشرك، ويمحو الاستغفار فروعه، وبذلك يكمل الدين(٦)، وقد جمع الله تعالى بينهما في قوله، جلّ وعلا: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩))(٧).

وأما التوبة من الكبر، فإن كان كبر كفر وشرك فعلى ما تقدم في التوبة من الشرك، وإن كان دون ذلك، فالتوبة منه كالتوبة من أمثاله من الذنوب بالندم على ما كان منه، والإقلاع عنه، والعزم على عدم العودة إليه(٨).

وإن كان تسبب في كبره بأذى للخلق أو ظلم لهم، فيلزمه رد المظالم إلى أهلها والتحلل منهم بما يتحلل به من مثله، من دفع مال مكان مال، ومن عفو

=

١٣٣/١، والوابل الصيب: ١٤١، وفتح الباري: ٦١٢/٨.

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى): ح٤٨٦٠، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله: ح١٦٤٧.

(٢) أي فُحشًا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٤٥/٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح١٥٩٠، واللفظ له، وابن ماجة في أبواب الكفارات، باب: النهي أن يحلف بغير الله: ح٢٠٩٧، وزاد: «وحده لا شريك له» وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، والأرناؤوط فيه وفي تحقيقه لسنن ابن ماجة.

(٤) انظر: مدارج السالكين: ٢٨٣/١.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد: ح٧١٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(٦) انظر: جامع الرسائل: ٢٨٦/٢، ومجموع الفتاوى: ٦٩٧/١١.

(٧) سورة: محمد: آية ١٩.

(٨) انظر: مدارج السالكين: ١٩٧/١- ٢٠٢.

عن عقوبة، وجبت في انتهاكه عرضه ونحو ذلك[(١)]، لما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[(٢)].

فإذا تاب العبد من الشرك والكبر -على ما تقدّم ذكره- فقد تاب الله عليه، ورفع عقوبته عنه، لما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في حادثة الإفك وفيه أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه»[(٣)]، وحديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «التائب من الذنب، كمن لا ذنب له»[(٤)].

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد توصل البحث إلى بعض النتائج والتوصيات التي أكتفي بالإشارة إلى أهمها فيما يأتي:

أولاً: بعض أهم نتائج البحث:

١- أنّ الشرك هو أن يعدل بالله شيئًا في أمر من الأمور، وأنّ أكثره يعود إلى الغلو في الصالحين، واعتقاد تأثير النجوم والكواكب في العالم.

٢- الكفر أعم من الشرك، وإذا أطلق أحدهما منفردًا شمل الآخر، وإذا اقترنا انصرف الشرك لعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعتراف عابديها بالله تعالى، وانصرف الكفر لما عداه.

٣- أنّ الكبر تسفيه الحق ودفعه واحتقار الناس وأعمالهم. وأن تنعّم الإنسان وتوسّعه في أمور الدنيا من غير سرف وعلو لا علاقة له بالكبر.

٤- أنّ الكبر يؤدي إلى الشرك والكفر، وكلّ مشرك بلغه الحق فهو متكبّر، وكلّ متكبر عن عبادة الله فهو مشرك، وكلّ متكبر اتّبع هواه فقد اتّخذ هواه شريكًا مع الله تعالى، وأنّ من معاني الكبر: الشرك والكفر، ومن أسباب الكبر الظاهر الرياء وهو شرك، وأنّ الشرك والكبر اعتداء على حقّ الله تعالى في التوحيد والكبرياء والعظمة وذلك من قبيل الكفر، وأنّه كلما كان العبد موغلاً في الشرك كان متلبسًا بظلم الخلق والتكبّر عليهم، وبمجموع هذه الأمور يظهر شيء من العلاقة الوثيقة بين الشرك والكبر.

٥- الكبر فساد عقدي قلبي تظهر آثاره على الجوارح.

٦- الخيلاء هو جانب تخيل العظمة في الكبر، ومنه ما يظهر في صورة اختيال في المشي واللباس ونحوهما.

٧- يشترك الكبر والشرك في كونهما ضدّ الإيمان والإسلام، ولذلك جعلهما نوح -عليه السلام- في مقابل ما أمر به وهو التوحيد والتسبيح والتحميد والتكبير.

٨- احتجاب الله وصالح خلقه عن الشرك والكبر وأهلهما في الدنيا والآخرة.

٩- الوعيد الشديد للمشركين والمتكبرين بتحريم الجنة عليهم ودخولهم النار على ظاهره في حق الواقعين في الشرك الأكبر وكبر الكفر، وأما الشرك الأصغر والكبر غير المخرج من الملة فصاحبهما من أهل الوعيد، ولا يدخل المتكبر الجنة، حتى يزول ما في قلبه من الكبر.

---

(١) انظر: شرح مشكل الآثار: ١٧٨/١.

(٢) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب: من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته: ح٢٤٤٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا: ح٢٦٦١، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف: ح ٢٧٧٠.

(٤) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب: ذكر التوبة: ح٤٢٥٠، وحسنه ابن حجر في فتح الباري: ٤٧١/١٣، والألباني في صحيح ابن ماجة.

ثانيًا: بعض أهم توصيات البحث:

١- العمل على تعريف الناس بأهمية تزكية النفس وتطهيرها من أدران الشرك والكبر والعجب والأمراض القلبية الخفية، من خلال الكتابة في ذلك، وعقد الدروس العلمية حوله، والتنبيه عليه في خطب الجمعة.

٢- ضرورة تضمين مناهج العقيدة في مختلف المراحل العليا الدراسية وما دونها موضوعات تبين أهمية وطريقة تحقيق التوحيد والنجاة من الشرك، وتوجيه طلبة العلم عمومًا والباحثين في الدراسات العليا العقدية خصوصًا إلى الكتابة في أعمال القلوب وأمراضها، لنشر الوعي بأهمية تحقيق التوحيد والسلامة من الشرك.

٣- الكتابة في بيان سعة مفهوم الشرك الوارد في نصوص الكتاب والسنة وكلام أهل اللغة، لتصحيح النظر لدى من يتهمون أهل السنة والجماعة بالتوسع في إطلاق اسم الشرك، أو كثرة التحذير منه، نتيجة جهل المخالفين بمعناه ومواضع إطلاقه في الكتاب والسنة الصحيحة.

هذا ما تيسر ذكره، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين، وأستغفره تعالى وأتوب إليه من كل ذنبٍ وخطيئة.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

آبادي، العظيم (١٤١٥هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.

ابن الأثير، (١٣٩٣هـ-١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزوري، محمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.

ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، ط١.

ابن العساكر، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر.

ابن بطال، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢.

ابن حبان، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢.

ابن حجر، (١٣٧٩هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

ابن حجر، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الرياض: دار العاصمة، ط١.

ابن رجب، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٧.

ابن ماجة، (١٤٣٠ه-٢٠٠٩م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١.

ابن مفلح، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، الفروع، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١.

ابن منظور، محمد بن مكرم(١٤١٤ه)، لسان العرب، بيروت:دار صادر، ط٣.

أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

الأزدي، (١٩٨٧م)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١.

الأزهري، (٢٠٠١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.

الأصبهاني، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، الترغيب والترهيب، تحقيق: أيمن شعبان، القاهرة: دار الحديث، ط١.

الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.

الألباني، محمد، سلسلة الاحاديث الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف، ط١.

الألباني، محمد، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، الاسكندرية: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

الألباني، محمد، صحيح وضعيف سنن أبي داود، الاسكندرية: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

الألباني، محمد، صحيح وضعيف سنن الترمذي، الاسكندرية: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

الألباني، محمد، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، صحيح الترغيب والترهيب، الرياض: مكتبة المعارف، ط١.
الألوسي، محمود (١٤١٥ه)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، صحيح الأدب المفرد، تحقيق: الألباني، دار الصديق.
البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١.
البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، الأدب المفرد بالتعليقات، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣.
البغوي، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة: ط٤.
ابن تيمية، (١٤٠٣ه)،- الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١.
ابن تيمية، (١٤٠٦هـ)، الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مصر: مكتبة ابن تيمية، ط٢.
ابن تيمية، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرين، دار العاصمة، ط٢.
ابن تيمية، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، الرد على الإخنائي، تحقيق: أحمد العنزي، جدة: دار الخراز، ط١.
ابن تيمية، (١٤٢٦هـ)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١.
ابن تيمية، الرد على المنطقيين، بيروت: دار المعرفة.
ابن تيمية، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد، الرياض: دار العطاء، ط١.
ابن تيمية، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١.
ابن تيمية، (١٤١١هـ-١٩٩١م)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢.
ابن تيمية، (١٤١٦ه-١٩٩٥م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
ابن تيمية، (١٤٢٢ه)، جامع المسائل لابن تيمية، تحقيق : محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١.
ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محيي الدين، الرياض: الحرس الوطني.
ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، بيروت: دار عالم الكتب، ط٧.
ابن حنبل، أحمد (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ط١.
ابن حنبل، أحمد (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١.
ابن سلام، القاسم (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) غريب الحديث، تحقيق: محمد خان، حيدر أباد، ط١.
ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله ابن محمد (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، بيروت: المكتب الاسلامي، ط١.
ابن فارس، أحمد (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر.
ابن قاسم، محمد بن عبد الرحمن (١٤١٨هـ)، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط١.
ابن كثير (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١.
ابن كثير، (١٤١٩ه)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
البوصيري، أحمد (١٤٠٣هـ)، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المنتقى، بيروت: دار العربية، ط٢.
البيهقي، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، الأسماء والصفات، تحقيق: مقبل الوادعي، جدة:مكتبة السوادي، ط١.
الجوزية، ابن القيم، (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.

الجوزية، ابن القيم، (١٣٩٤ه)،طريق الهجرتين وباب السعادتين، مصر، ط٢.
الجوزية، ابن القيم، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، بيروت: دار الكتب العلمية.
الجوزية، ابن القيم، (١٤١٥ه-١٩٩٤م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢٧.
الجوزية، ابن القيم، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد أحمد الحاج، جدة: دار القلم- دار الشامية، ط١.
الجوزية، ابن القيم، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف البكري وشاكر، الدمام: رمادى، ط١.
الجوزية، ابن القيم، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المغرب: دار المعرفة، ط١.
الجوزية، ابن القيم، (١٩٩٩م)، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة: دار الحديث، ط٣.
الجوزية، ابن القيم، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت: دار المعرفة.
الجوزية، ابن القيم، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣.
الجوزية، ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد الفقي، الرياض: مكتبة المعارف.
الجوزية، ابن القيم، الروح، بيروت: دار الكتب العلمية.
الجوزية، ابن القيم، بدائع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي.
الجوزية، ابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، القاهرة: مطبعة المدني.
الجوزية، ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت: دار الكتب العلمية.
الجوهري، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤.
الحاكم، أبو عبدالله (١٤١١هـ-١٩٩٠م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
الحسني، محمد بن إسماعيل (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق: محمد إسحاق، الرياض: مكتبة دار السلام، ط١.
الحكمي، حافظ بن أحمد (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، ط١.
الخطابي، حمد (١٣٥١هـ-١٩٣٢م)، معالم السنن شرح سنن أبي داود، حلب: المطبعة العلمية، ط١.
الذهبي، الكبائر، بيروت: دار الندوة الجديدة.
الرازي، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت وصيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط٥.
الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
زكريا، أبو بكر محمد (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، الشرك في القديم والحديث، الرياض: مكتبة الرشد، ط١.
الزمخشري، محمود (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، ط٣.
السبتي، عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث.
السعدي، عبد الرحمن (١٤٢١ه)، القول السديد شرح كتاب التوحيد، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، ط٢.
السعدي، عبد الرحمن (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي، مكتبة الرشد، ط١.
السعدي، عبد الرحمن (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١.
السليمان، فهد بن ناصر بن إبراهيم (١٤١٣هـ)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الرياض: دار الوطن.
السمعاني، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن غنيم، الرياض: دار الوطن، ط١.
صوفي، عبد القادر (١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ)، المفيد في مهمات التوحيد، دار الإعلام، ط١.
الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط٢.

الطبري، ابن جرير (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١.

الطحاوي، (١٤١٥هـ ١٤٩٤م)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الرسالة، ط١.

العثيمين، محمد (١٤٢٦ه)، شرح رياض الصالحين، الرياض: دار الوطن للنشر.

العثيمين، محمد (١٤٢٤هـ)، القول المفيد على كتاب التوحيد، الدمام: دار ابن الجوزي، ط٢.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.

الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية.

القاري، الملا (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت: دار الفكر، ط١.

القرافي، (١٩٩٤م)، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي وآخرين، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١.

القرطبي، محمد (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢.

القشيري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

المازري (١٩٨٨م-١٩٩١م)، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد الشاذلي، الدار التونسية، ط٢.

الميلي، مبارك بن محمد (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية، ط١.

النسائي، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

النووي، (١٣٩٢هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢.

الهيتمي، أحمد بن محمد (١٤٠٧ه-١٩٨٧م)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، ط١.

الهيتمي، أحمد بن محمد (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م)، الفتح المبين بشرح الأربعين، عني به: أحمد جاسم وآخرون، جدة: دار المنهاج، ط١.

الهيثمي، علي بن أبي بكر (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

الهيثمي، نور الدين (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي.

Summary of research

Yasser Abdul Rahman ALahmadi,

Praise be to Allah, lord of all creation, and peace and prayers be to our prophet Mohammed and upon all his family and companions, and after:

This research titled : (Polytheism and arrogance and relationship between them in the light of the Noah's Commandment (peace be upon him) to his son), It is an independent research, a sequel to an earlier research entitled : (Noah's Commandment (peace be upon him) to his son), doctrinal study for what is ordered.

This research consists of four sections : Section I: Definition of polytheism. Section I2: Definition of arrogance. Section3: The relationship between the polytheism and arrogance. Section 4 : Hiding from the polytheism and arrogance and their punishment.

Research results :

1/ The polytheism is that man joining other with Allah in one of his qualities and It is considered as a type of disbelief.

2/ The arrogance is a denial of the right and scorning people, and what is illustrating its relation with the polytheism are: and its meaning the polytheism and arrogance, and each gentile according to the language of the right is an arrogant, and each arrogant about the worship of Allah is an idolater, and each arrogant followed the amateur, he has taken the whim as a partner with Allah, and one reasons of an arrogance is the hypocrisy and it is a polytheism, and the polytheism and arrogance are the assault on the right of Allah in monotheism, pride and greatness in order to disbelief, and they are against the belief, So Noah made them versus what is ordered to do, such as Monotheism, glorification of Allah , praising Allah and exclaiming Allah is great.

3/ The arrogance is an ideological corruption, it effects show in the behavior and actions , and the pride is a part of it.

4/ Allah saves the righteous from polytheism and arrogance and from polytheists and arrogant.

5/ Promises to enter the infidels and the proud into fire in the polytheism and arrogance, and the Minor disbelief, does not come out of a religious group, Their owners of the Fire owners, Arrogant will not enter the Paradise, until the end of arrogance from his heart.

Research Recommendations :

1/ Sponsorship and self-purification of polytheism, arrogance, wonder and the hidden heart disease, through writing and holding a scientific lessons, warning of the them in Friday sermons.

2/ Teaching the faith curriculum in all grades, and it must include monotheism and deliverance from polytheism and arrogance, and encourage the researchers to write in it.

3/ Explain the concept of polytheism as stated in the Koran and the Sunna and language, to correct those who accuse the Sunnis and the group to expand in the polytheism or frequent warning of it, as a result of ignorance of its meaning, and Allah knows best, May Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions, praise be to Allah, lord of all creation.